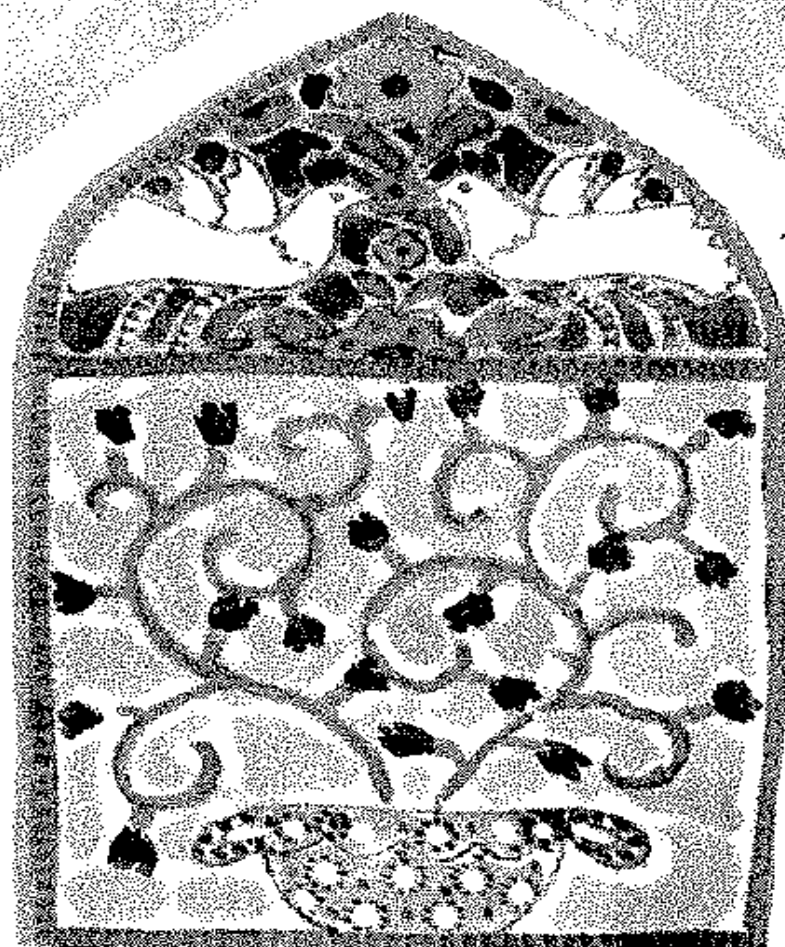


فستان شروق



على عشرين قصيدة
الحبيب الالهى

دار الشروق

0160220



Bibliotheca Alexandrina

الْحَبِيبُ إِلَى عَشِيرَتِهِ فَوَضَعَهُ
فِي الْحَبِيبِ الْإِلَهِيِّ

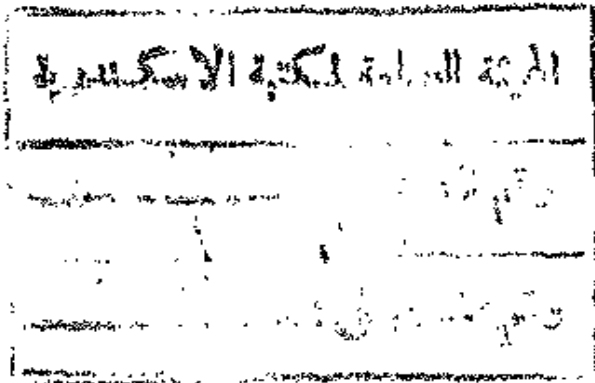
طبعة دار الشروق الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

الطبعة : ١٦ شارع جواد حني - مكة : ٢٢٢٤٥٧٨ - ٢٢٢٤٥٨٤
الطبعة : شروق - مكة : ٢٢٢٤٥٨٤ - ٢٢٢٤٥٨٤
الطبعة : ص ب : ٨٠٦٤ - مكة : ٢٢٢٤٥٨٤ - ٢٢٢٤٥٨٤
الطبعة : دار الشروق - مكة : ٢٢٢٤٥٨٤ - ٢٢٢٤٥٨٤

فتنار فوق شوشستان



الحبيب في الحب الالهى



General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
 Bibliotheca Alexandrina

دار الشروق

« لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثانٍ ، وكعبةٌ طائفٍ
والواحُ توراةٍ ، ومصحفٌ قرآنٍ
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه ، فالحب دينى وإيمانى »

ابن عربى

هذا الكتاب

هذه هي الحلقة الثانية في سلسلة المختارات التي تهدف إلى تقديم عيون الشعر العربى - قديمه وحديثه - من خلال التفافها حول إطار معين ينتظم هذه المختارات ، أو تجربة شعرية كبرى ، مع التوقف بالتحليل والتأمل عند أبرز من تناولوها في رحلة القصيدة العربية عبر العصور .

وإذا كانت الحلقة الأولى في هذه السلسلة توقفت عند تجربة الحب في الشعر العربى ، وحملت عنوان « أحلى عشرين قصيدة حب » في هذا الشعر ، فإن هذه الحلقة الثانية تتقدم إلى ساحة أسمى من ساحات هذا الحب هي ساحة الحب الإلهى ، حيث فاضت وجدانات العشاق الكبار من الشعراء بأنغام وترانيم وألحان تطهروا بها ، وحلقوا من خلالها ، دُنُوًّا واستشرافًا من الأفق الأعلى والأسمى ، حيث ينباع الروحانية ، والفيض الغامر ، وحيث تمتلئ النفوس بأقباس من النورانية وتفيض العيون بدموع الندم والخشية والتوبة ، وتعمر القلوب بوشائج المحبة الدائمة ، ومقامات العشق وأحواله ، وينسكب هذا كله في النهاية شعراً يفيض بالصدق ويعمر باليقين والمحبة والإيمان .

لكن الأمر في هذه المختارات المتصلة بالحب الإلهي لم يكن بالهين أو اليسير .

فعلى الرغم من امتلاء صفحات كثيرة من تراثنا العربى بنماذج هذا الحب ، إلا أن اختلاطها واضطرابها وتداخلها ، وتفاوت مستوياتها بين أصالة وتقليد ، وشاعرية وصنعة ، وصدق وتكلف ، يجعل مهمة الاختيار والتصنيف شاقة وعسيرة ، فضلاً عن عدم ملاءمة الكثير منها ، وهى أمور اقتضت بذل المزيد من الجهد ، واستغراق الكثير من الوقت .

ولسنا نزعم أن هذه القصائد العشرين هى أفضل ما فى تراث الحب الإلهي - قديمه وحديثه - من نماذج ، ولا أن أصحابها من الشعراء هم وحدهم أفضل الشعراء وأحقهم بأن نتوقف عندهم ، فكما قلت فى تقديمي « لأحلى عشرين قصيدة حب فى الشعر العربى » : إن الأساس الأول فى الاختيار هو ذوق شخصي ، وقد يخطئ هذا الذوق وقد يصيب ، لكن ارتباطي الوجداني ببعض هذه القصائد من خلال مواقف وتجارب معينة ، وعلى مدار العمر ، جعلها أقرب إلى نفسي وأسبق إلى الاختيار من سواها .

كذلك فإن حرصى على تغطية مساحة طويلة من الزمان تنتظم شعر الحب الإلهي - من بدئه كظاهرة فنية ملموسة حتى يومنا هذا جعلنى - كما قلت من قبل - لا أطيل التوقف عند ممثلى كل عصر من بين أعلامه وأصواته الكبرى بقدر إسراعى إلى انتزاع القصيدة النموذج فى دلالتها وموضعها من السياق .

ولاشك أن وضع هذه المختارات في سلك منظوم يحمل انتظامه معنى ، ويعطى تتابعه واطراده دلالة ، ويؤدي بسياق اكتماله إلى فكرة واضحة هي الكشف عن تجربة التعبير عن الحب الإلهي في شعرنا العربي ، وحقيقة موقف الشعراء العشاق من هذه التجربة والمدارات التي حلّقوا فيها وسمّوا إليها ، وألوان الصور الشعرية التي أبدعوها والأنغام الموسيقية التي عزفوها والأبنية الفنية التي أقاموها - لاشك أن هذا الهدف يستحق عناء البحث والتنقيب والتحقيق والاختيار .

ولقد ظلت هذه النماذج وغيرها من تراث الحب الإلهي مختلطة مع غيرها من قصائد المدائح النبوية والابتهالات والأدعية والمنظومات والأذكار الدينية ، ولعل هذه هي المحاولة الأولى لاستخلاصها ، وتجريد بعضها مما لحق به من تحريفات أو علق به من تجاوزات ، حتى تكون هناك مختارات قسّامة ، تركز على شعر المدائح النبوية باعتبارها فناً مستقلاً ، له خصائصه وسماته وله أعلامه من الشعراء قدامى ومعاصرين ، وله مساحته الواسعة من الدوران في ديوان الشعر العربي منذ أقدم العصور حتى اليوم .

والأمل معقود أن تلقى هذه المختارات من شعر الحب الإلهي ما لقيته سابقتها لدى القراء من ذبوع وانتشار ، بعد أن أدى الإقبال عليها إلى صدور الطبعة السادسة منها في سنوات معدودة ، وأن يستجيب شعراؤنا ودارسوننا للدعوة التي حملتها المختارات السابقة : أن يسهموا ويشاركوا في هذا الميدان ، كل على حسب طاقته واستطاعته واهتماماته ، فتعدد مجالات الاختيار ، من خلال أذواق عدة ، من شأنه

أن يؤدي في النهاية إلى تكوّن الذوق الصحيح المدرب الذي يجيد الانتقاء والرؤية النافذة ، وينجح في تقديم قراءة عصرية جديدة لكل ما يحمله التراث من كنوز ، بعد أن ينفض عنها غبار الإهمال والنسيان ، ويعيد إليها ماء الجدة والحياة .

فإذا ما نجحت هذه المختارات في تقريب المسافة بين القارئ المعاصر وتراث أمته الشعري - قديمه وحديثه - وفتحت باباً ولويسيراً للتذوق عصري ، ترفده حساسية جديدة ، ووعي جديد ، فإنها تكون قد شارفت الغاية ، وأشارت إلى الطريق .

الرحلة في بحار العشق

هى رحلة حب من طراز نادر وفريد .

نتقدم من خلالها إلى ساحة عامرة وضيئة ، تغتنى بالعديد من الأنغام والألحان التى أبدعها هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بالحب الإلهى — عشقًا وهيامًا وفناءً وذوبانًا — بعد أن سموا بإدراكهم وتذوقهم للجمال والحب إلى ما فوق رغبات الحس ودواعى المتعة ونفذوا إلى أبعد آماذ معانيه وصوره وتهويماته ، واستطاع هؤلاء الشعراء — الذين امتلأت قلوبهم ووجداناتهم بأقباس الحب الإلهى — أن يبدعوا عالمًا شعريًا له مفرداته ورموزه وإيحاءاته ، وله معجمه الخاص الذى لا بد من الإحاطة به لمن يحاول الاقتراب من حدود عالمهم الشعرى ، خشية أن يزل أو يضل ، فالجمال بالنسبة إليهم وسيلة لسمو الروح واهتدائها إلى المعانى الخيرة المطلقة والمبادئ السامية . كما أن آيات الابداع التى تتجلى فى المخلوقات هى سبيل لتحقيق النشوة الروحية التى يعرج بها كل امرئ نقى السريرة إلى الله . فالجمال الإلهى يتجلى فى الطبيعة من خلال الموجودات والكواكب

والنجوم ، كما يتجلى في الناس . والكون كله يشترك في عبادة ذى
الجمال المطلق المنزه عن التشبيه ، ويهيم بهذا الجمال في نشوة مقدسة ،
وهذا الحب الإلهى يغمر الكون ، ولولاه ما انتظم الكون . ومن هنا
يمكن أن نفهم تجليات هذا الحب وأسراره وإيماءاته ومضاته ونحن
نتابع رحلة هؤلاء الشعراء في هيامهم بالجمال الإلهى تتردد على
شفاههم أسماء محبوباتهم من البشر ، وهى في حقيقتها رموز الجمال
الأسمى ، قليل وسعاد ونعم . وغيرها من الأسماء في أشعارهم - هى
الحبيب الأعظم ، وهى سبيلهم إلى الهداية الروحية ، يتجاوزون الجمال
الجسمى المحدد إلى الانتشاء بالفيض الإلهى ، لجمالٍ يجل عن الوصف
ويتقدس عن الكيف .

وقد عبر محيى الدين بن عربى - أحد هؤلاء العشاق الكبار من
الصوفية - في مقدمة ديوانه : ترجمان الأشواق ، عن حقيقة إدراك
هؤلاء الشعراء للجمال الإلهى ، منبهاً إلى أن أشعارهم لها ظاهر
وباطن ، فظاهرها غزل يمكن أن ينطبق على الغزل الحسنى ، ولكن
باطنها الهداية إلى أسرار الهيام بالمعارف الإلهية والواردات الباطنة
والأسرار الجمالية العليا .^(١)

يقول ابن عربى :

« لما نزلت بمكة سنة خمس مائة وثمانى وتسعين ، ألفيت جماعة من
الفضلاء ، ولم أر فيهم مع فضلهم مثل أبى شجاع بن رستم

(١) ليلى والمجنون أو الحب الصوفى ترجمة وتقديم الدكتور محمد غنيمى هلال .

الأصفهاني ، وكان لهذا الشيخ بنت تقييد النظر وتزوين المحاضر ، علمها عملها ، عليها مسحة ملك وهمة ملك ، فقلدناها من نظمنا في هذا الكتاب أحسن القلائد ، فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنتها أكنى ، ولم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء إلى السواردات الإلهية ، والتنزلات الروحية والمناسبات العلوية ، جرياً على طريقتنا المثلى ، والله يعصم قارئ هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية والهمم العلية المتعلقة بالأمور السماوية .

فإذا حاولنا أن نتأمل حقيقة هذا الحب الإلهي ومعناه ، ذلك الذي هام فيه الصوفية ، وفنوا وتفانوا ، معبرين عن خوالجهم وعن شطحاتهم ، في نثرهم وشعرهم ، وأدعيتهم وابتهالاتهم ، وشروحهم وتعليقاتهم ومنظوماتهم ، وجدناه وقد تمثل في صورته الأولى من خلال التعبير القرآني المحكم ومأثور كلم الرسول الكريم .

جاء هذا المعنى في القرآن الكريم « يحبهم ويحبونه » في قوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ . [سورة المائدة : الآية ٥٤] وفي قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

[سورة آل عمران : الآية ٣١]

وقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ .

[سورة البقرة : الآية ١٦٥]

ويروى عن الرسول الكريم : اللهم إنى أسألك حبك ، وحب من
يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى
وأهلى ومن الماء البارد .

ومن ماثور قول الرسول الكريم :

« من أحب الله فليحبنى ، ومن أحبنى فليحب أصحابى ومن أحب
أصحابى فليحب القرآن ، ومن أحب القرآن فليحب المساجد فإنها أبنية
أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها وبارك فيها ، فهى ميمونة ميمون
أهلها، فهم فى صلاتهم والله تعالى فى حوائجهم ، وهم فى مساجدهم والله
تعالى فى نجاح مقاصدهم » .

وفى القرن الثانى الهجرى تتأكد فكرة حب الله من خلال شخصية
التفت حولها القلوب والعقول ، هى شخصية رابعة العدوية التى
ظهرت فى البصرة داعية بدعوة جديدة هى دعوة التقرب إلى الله عن
طريق حبه ، وهى تنادى بهذا الحب لأنها ترى أن الله أهل لأن يحب
أولاً لأنه مصدر النعم التى لا تنقطع ، فلا سبيل لأن ينقضى حب
المنعم بها على العباد ، وهو أهل لأن يحب ثانياً لجماله وجلاله .
تقول رابعة :

أحبك حبين : حب الهوى

وحباً لأنك أهلاً لذاك

فأما الذى هو حب الهوى

فشغلى بذكرك عمن سواك

وأما النذى أنت أهل له
فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا
وفى موضع آخر من شعرها تقول :
ياسرورى ومنيتى وعمادى
وأنيسى وعُدَّتى ومسرادى
أنت روح الفؤاد ، أنت رجائى
أنت لى مؤنسى وشوقك زادى
أنت لولاك يا حياتى وأنسى
ما تشئتُ فى فسيح البلادِ
كم بدت منة وكم لك عندى
من عطاءٍ ونعمة وأيادى
حبك الآن بُغيتى ونعيمى
وجلاء لعين قلبى الصادى
ليس لى عنك ما حييت بَراحُ
أنت منى ممكّن فى الفؤادِ
ويبدو أن نفاذ شخصية رابعة فى القلوب ، ودوران شعرها على

الأسنة والأسماع ، هو الذى أغرى كثيرين بالنظر إليه متابعةً
واستلهاما ، يقول واحد منهم يعزف على وتر رابعة:
لما علمت بأن قلبى فارغ
ممن سواك ، ملأته بهواكا
وملأت كلى منك ، حتى لم أَدع
منى مكانا خاليا لسواكا
فالقلب فيه هيامه وغرامه
والنطق لا ينفك عن ذكراكا
والطرف حيث أُجِبله متلفتا
فى كل شىء يجتلى معناكا
والسمع لا يصغى إلى متكلم
إلا إذا ما حَدَّثوا بحلاكا
بل إنه ينظر من قريب أيضا إلى أبيات ابن الفارض المشهورة :
لك قرب منى ، ببعْدك عنى .
وحنوٌ وجدته فى جفاكا
علّم الشوق مقلتى سهر الليل
فصارت من غير نوم تراكا
حبذا ليلة بها صدتُ إسراك
وكان السهاد لى أشراكا
بات بدر التمام طيف محياك
لطرفى بيقظتى إذ حكاكا

فتراءيت في سواك لعين
بك قرئت وما رأيت سواكا

وهي أبيات تدور حول فكرة استحضار صورة المحبوب وتفنن هؤلاء الشعراء العشاق في الإتيان بالصور المبتكرة والمعاني الطريفة ، وهو مجال كان لابن الفارض فضل السبق فيه ، من خلال قدرته الفذة على اصطياد عشرات الصور التي يتمثل فيها جمال صورة المحبوب ، وتتجلى روعتها وتفردھا وتمايزھا ، أليس هو القائل :

تراه إن غاب عنى كل جارحة
في كل معنى لطيف رائق بهيج
في نغمة العود والنأي الرخيم ، إذا
تألَّفَا بين الحانٍ من الهزج
وفي مسارح غزلان الخمائل في
يبرد الأصائل والإصباح في البكج
وفي مساقط أنباء الغمام على
بساط نور من الأزهار منتسج
وفي مساحب أذيال النسيم إذا
أهدى إلى سُحَيْرٍ أطيب الأرج
وفي التثامى ثغر الكأس مرتشفاً
ريق المدامة في مستنزه فرج
لم أدْرِ ما غربَّة الأوطان وهو معي
وخاطري أين كنا غير منزعج

ويبدو أن هذا اللون من الحب لم يكن من السهل ولوج عالمه والارتفاع إلى مستوى معانيته وتمثله ، إلا بعد ابتلاء طويل وتجارب قاسية يتعرض فيها المتصوف في البداية إلى معاناة الحب الإنساني حتى تحتدم به عاطفته ، فيكون التحول إلى حبٍ أسمى هو حب الله .

قال بعض المريدين لأستاذه : قد طولعت بشيء من المحبة .

فقال : يا بنى : هل ابتلاك بمحسوب سواء فأثرت عليه إياه ؟

فقال : لا ، فقال : فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيها عبداً حتى يبيلوه. وشبيهه بهذا ما قيل لبعض الصوفية وكان قد بذل المجهود من ماله ونفسه حتى لم يبق منها بقية : ما كان حالك من هذه المحبة ؟ فقال : كلمة سمعتها من خلق لخلق عملت بى هذا البلاء . قيل : وما هى ؟ قال : سمعت محبوباً قد خلا بمحبوبه وهو يقول : أنا والله أحبك ، أملكك ما أملك ، ثم أنفق عليك روى حتى تهلك ، فقلت : هذا خلق لخلق وعبد لعبد ، فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود ، فكان لذلك سببه^(١) ثم يجيء ذو النون المصرى — فى القرن الثالث الهجرى — ليضيف إلى هذا البعد من أبعاد الحب الإلهى عند المتصوفة ملمح الأنس ، الأنس بالله ، أى العمل له خالصاً ، مع فرح القلب بالمحبيب « أى الله » ولو كان ذلك عن طريق النظر إلى بعض خلقه اتعاضاً واعتباراً دون السكن إليهم.

يقول ذو النون حين سئل عن الأنس : أن تأنس بكل وجه صبيح

(١) « أبو طالب المكي » : قوت القلوب جـ ٢ .

وكل صوت فصيح ، والله تبارك وتعالى فيما بينك وبين ذلك .
ثم نطالع عند إخوان الصفاء - في القرن الرابع الهجري - إدراكاً أعمق
وأشمل لفكرة الحب الإلهي باعتباره الحب الحق والعشق الخالد الذي
تسمو إليه النفس الناطقة عند بلوغها أقصى ما تسمو إليه من الكمال
فإنه هو المعشوق الأول المنزه عن الشبيه (١) ولا يستلزم حب الله
والهيام به تجسماً في رأيهم ، لأن الله يجل عن الشبيه والصورة ، لكن
رؤية أولياء الله تعالى له هي رؤية نور بنور لنور في نور ، كما جاء في
قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من
شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسه نار ، نور على نور ﴾ .

[سورة النور : الآية ٣٥]

وهكذا يمضي إخوان الصفاء في هذا الطريق ، طريق اتخاذ الحب
طريقاً إلى الله ، والهيام به لجماله وجلاله ، وإدراك أن هذا الجمال كان
الباعث على خلق الكون (٢) ، والفلك إنما يدور شوقاً إليه ومحبة للبقاء
والدوام المديد على أتم الحالات وأكمل الغايات وأفضل النهايات .
وهكذا تكتمل صورة هذا الحب الإلهي ، من خلال أبرز أعلامه ،
واتجاهاتهم وأفكارهم ، فهو ليس تعلقاً بالأجساد وصور المادة ، بل

(١) رسائل إخوان الصفاء ج ٢ .

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين : ابن قيم الجوزية .

هو حب للمعاني العقلية والكاملة وتعلق بالمثل وهيام بمصدر الكمال والجمال ، ومن هنا فالحب عند الصوفية طريق إلى الزهد في متع الدنيا جميعاً وحرب على النفس وسبيل إلى العزوف عن مغرياتها .
والصوفية يحفلون بجمال الروح قبل جمال الجسم ، ولا فرق عندهم بين حب من صفت روحه من حسان الخلق وحب شيخ الطريقة الكهل الأشيب لأنه جميل الروح ^(١) . وشرط الوصول إلى الحق عن طريق الحب أن يكون المحب جميل الروح ، وأن يهتم بمخلوق جميل الروح ولو لم يكن جميل الجسم ، إن جمال الروح هو الذي يفتح أمام المحب الطريق للتأمل والفكر اللذين هما السبيل للوصول إلى الغاية من الحب عند الصوفية . فجمال الخلق يمكن أن يتخذ سبيلاً لمعرفة الحق ، والحب هو الطريق لمعرفة الحقيقة . يقول عبد الرحمن الجامي الشاعر الفارسي المتصوف - في قصة يوسف وزليخا (ترجمة الدكتور محمد غنيمي هلال) :

« القلب الخالي من ألم العشق ليس بقلب ، والجسم الخالي من ألم العشق ليس إلا ماءً وطيناً ، فأشج بوجهك عن العالم ولا تفكر إلا في العشق ، فدوران الفلك إنما هو من أجل العشق فكن أسير العشق لتصير حرّاً ، وقاس من أحزانه في صدرك لتحظى بالسرور ، ولا تشج بوجهك عن العشق ولو كان العشق المجازي لأنه الطريق إلى العشق الحقيقي ، وكيف تتيسر لك قراءة القرآن إذا لم تكن قد طالعت أولاً

(١) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية للدكتور محمد غنيمي هلال .

الحروف الأبجدية في اللوح ؟ سمعت أن مر يدًا طلب من شيخه العون في إرشاده فقال له الشيخ : إذا لم تكن قد نقلت الخطو في طريق العشق فإذهب وأحب ثم عد إلينا ، إذا بدون كأس خمرة الصورة لن يستطيع امرؤ تذوق جرع المعنى ، ولكن لا تمكث طويلاً أمام الصورة واعبر سريعاً ذاك الجسر إذا أردت أن تسرع بوضع رحلك في منزل الوصول».

ويروى الجامى في قصته « يوسف وزليخا » حكاية الفتاة المصرية الجميلة المسماة « بازعة » وقد أحبت « يوسف » من قبل أن تراه لما سمعته من وصفه ، فلما رآته وقعت مغشياً عليها لما بهرها من جماله ثم أفاقت فأخذت تسأله : « يا من بك يستقيم أمر كل ذى حسن ، من ذا الذى زينك بمفاتيح الجمال ؟ من ذا الذى جعل شمس جبينك تتألق ؟ وأى مصور أبدع قلمه في نفسك ؟ وأى بستانى تعهد شجرة سروك وأى فرجار رسم قوس حواجبك ؟ ومن ذا الذى جعد هكذا ذوائبك ؟ ومن أين لوردتك النضرة ذلك الماء الذى به رويت ؟ » .

فأجابها يوسف : « أنا صنعة صانعى ، وقطرة من بحره كافية لخلقى ، وما الفلك إلا نقطة من كماله ، وما العالم إلا برعمة من حديقة جماله ، وقد أشرقت الشمس بنور حكمته ، وما السموات إلا حباب من بحر قدرته ، وجماله منزّه عن تهمة العيب ، مستتر في حجاب الغيب ، وقد جعل من ذرات العالم مرايا انعكس وجهه في كل منها ، فكل ما يبدو جميلاً في عيون المفكر الناقد البصيرة ليس إلا انعكاساً لوجهه ، فحين ترين هذا الانعكاس عجلي بالاتجاه صوب الأصل الذى لا يبقى

بالإضافة إليه إشراق لذلك الانعكاس ، وإذا بقيت بعيدة عن أصل ذلك الجمال - وحاشا أن تبقى - فلا يلبث أن يفنى الجمال الذى تعلقت به فتظلين فى الظلمات ، فالجمال فى الخلق انعكاس عابر لا يطول بقاءه كنضارة الورد فإذا أردت الخلود فتوجهي إلى أصل الأشياء كلها .

وعندما علمت الفتاة الحكيمة بهذه الأسرار من قم يوسف ، طوت بساط حبها له ، وقالت له : « قد كدت أسقط إعياء عندما رأيت وجهك ، وكنت أود أسلم الروح فوق قدميك ، ولكن حين ثقبت جوهر الأسرار وتحديث عن سمات منبع الأنوار ، جعلتنسى بلطف قولك الحق أدير وجهي عن حبك ، قد رفعت الحجاب عن وجه المثال الذى إليه تطلعت ، والآن وقد تفتح قلبي لهذا السر ، وتطلعت أنظاري إلى العشق الحقيقي عن طريق عشقك المجازي ، فخير لي أن أنصرف عن المجاز إلى الحقيقة . ثم شكرت يوسف وانصرفت ، وأسست لها مقامًا للعبادة على ساحل النيل حيث ترهبت وزهدت فى خير الدنيا .

ويعرف بعض هؤلاء العشاق من المتصوفة المحبة بأنها الميل الدائم بالقلب الهائم ، وإيثار المحبوب على جميع المصحوب ، وموافقة الحبيب فى المشهد والمغيب ومحو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته ، ومواطاة القلب لمرادات الرب ، وترك الحرمة مع إقامة الخدمة .

يقول أبو يزيد البسطامي : المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك .

ويقول سهل بن عبد الله التستري :

إن العباد عبدوا الله على ثلاثة وجوه : على الخوف والرجاء والقرب

ولكل علامة يعرف بها وشهادة تشهد له بما له وعليه . فعلامه الخائف الاشتغال بالتخلص مما يخاف فلا يزال خائفًا حتى يتخلص ، فإذا تخلص مما يخاف ، اطمأن وسكن ، فهذه علامة الخائفين . وأما الراجي فإنه رجا الجنة وطلب نعيمها وملكها فأعطى القليل وطلب الكثير ، فبذل نفسه وخاف أن يسبقه أحد فجد في البذل وتحرز من الدنيا ألا يقف غدا في الحساب فيسبق .

وأما العارف الذي طلب معرفة الله وقربه ، فإنه بذل ماله فأخرجه ، ثم روحه فأباحه ، فلو لم تكن جنة ولا نار لما زال ولا فتر ، فهذه علامة العارف .

فانظروا أيها العقلاء : من أي القوم أنتم ؟ أموتى لا حياة فيكم ، أم لا موتى ولا أحياء ؟ أم أحياء حيوا حياة الخلد ؟ ويحك : إن الخائف حيٌّ بحياة واحدة ، والراجي حياتان ، وللعارف ثلاث حيوات ، وهي الحياة التي لا موت فيها .

فحياة الخائف إذا أمن النار فقد حيى بحياة ثم يتم بحياة ثانية ، ويدخل الجنة بغير حساب ، والراجي أمن من العذاب ومن الحساب فمر إلى الجنة مع السابقين بغير حساب ، فصار له أمانان ، وأما العارف فصار له أمانان من النار ، والأمان الثالث صار إلى الرحمن . ويقول سهل أيضًا :

الحب معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة .

وسئل الجنيد عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب .

ويقول أبو عبد الله القرشي : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت
فلا يبقى لك منك شيء .
ويقول الشبلي : سُميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى
المحبيب .

ويقول ابن عطاء : المحبة إقامة العتاب على الدوام .
ويقول أبو علي الدقاق : المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش .
ويقول أيضًا : العشق مجاوزة الحد في المحبة .
ويقول الشبلي : المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك .
ويقول ابن عطاء : المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر
العقول .

ويقول سحنون : ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن
النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : يحشر المرء مع من أحب .
ويقول النصر اباذي : المحبة مجانية السلو على كل حال .
وأنشد قائلًا :

ومن كان في طول الهوى ذاق لذة
فإنني من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شيء نلت من وصلها
أمانى لم تصدق كلمحة بارق
وأنشد ابن عطاء :

غريست لأهل الحب غصنًا من الهوى
ولم يك يدري ما الهوى أحد قبلي

فأورق أغصاناً وأتبع صبوةً
وأعقب لى مرّاً من الثمر المحلى
وكلّ جميع العاشقين هواهم
إذا نسبوه كان من ذلك الأصل
ويفسر أبو على الدقاق قول الرسول الكريم : « حبك الشيء يعمى
ويصم » قال : يعمى عن الغير غيرةً وعن المحبوب هيبة .
ثم أنشد :

إذا ما بدا لى تعاضمته
فأصدر فى حال من لم يرد
ويقول الحارث المحاسبى : المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ، ثم
إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرّاً وجهراً ، ثم
علمك بتقصيرك فى محبته .
ويقول الشبلى : المحب إذا سكت هلك ، والعارف إن لم يسكت هلك .
ويفسر بعض العارفين ^(١) هذا الكلام بقوله :
إن المحب الواله لا بدّ له من الشكوى ، ويهيج من المحبة حتى ليكاد
أن يحترق لو لم يبد ما عنده ، ولا يستطيع الصبر على غيبة محبوبه ،
لذلك قال الله فى حق أم موسى — عليه الصلاة والسلام — عند إلقائه فى
اليم وغيبته عنها (إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) ولو
كان بين يديها لكتمته حرصاً عليه ، وكذلك العارف إذا وصل إلى

(١) السمو الروحى فى الادب الصوفى لآحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى .

المعرفة بمحبوبه كتم سره حرصًا على البقاء في حضرته وأدبًا من هيئته
وخشوعًا في حضرته ، ولأنه بات في حضرة الغنى المطلق مترقيًا في
الأسرار العلية فلا ينظر ما سواه ، وقد أغناه عن طلب غيره والتذّ
بسرّيان السرفيه ، فهو في مسارح الروح تائه في بيداء الجلال ، يتكلم
المتكلمون حوله وقلبه قد لها عنهم ، وروحه في تجلياتها العظمى فوق
مدارك الفهوم فلا يفهمهم ولا يفهمهم ما لا يطيقون حمله ولا
يستطيعون فهمه ، ومن وجد في الحضرة فقد عراه الصمت المطلق في
باطن أسرارهِ ، ولو تكلم في الظاهر بموجب الشريعة وحال بشريته ،
ولكنه يلهب القلوب لمجرد رؤيته من أنوار الحق التي تتجلى على باطنه ،
ولذلك يذيق العارف محبيه حلاوة الإيمان بدون احتياج إلى بيان .

وقيل : المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب .

ويقول السوسى : لا تصلح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى
رؤية المحبوب بفناء على المحبة .

ويروون أن السرى رفع إلى الجنيد رقعة وهو يقول له : هذه خير
من سبعمئة قصة أو حديث يعلو فإذا فيها :

ولما ادعيت الحب قال : كذبتنى

فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا

وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحلّ حتى ليس يبقى لك الهوى

سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

ومما يروى أيضًا - في هذا السياق - أن يحيى بن معاذ كتب إلى أبى يزيد

البسطامي قائلاً : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته .
فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى
بعد ، ويقول هل من مزيد ؟
وأنشد :

عجبت لمن يقول : ذكرت إلفي
وهل أنس فأذكر ما نسيتُ
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا
ولولا حسن ظني ما حييتُ
شربنا الحب كأساً بعد كأس
فما نفذ الشراب وما رويتُ
فأحيا بالمنى وأموت شوقاً
فكم أحيا عليك وكم أموتُ
ويقول عبد الله بن المبارك :

من أعطى شيئاً من المحبة ولم يُعط مثله من الخشية فهو مخدوع .
وقيل : المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ، ثم
السكر الذي يحصل عند الشهود لا يوصف .
وأنشدوا :

لي سكرتان وللندمان واحدة
شيء خُصصتُ به من دونهم وحدي .
ويقول يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة
سبعين سنة بلا حب .

وتذاكر قوم المحبة في حضرة ذي النون المصري فقال : كفّوا عن هذه
المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها ، ثم أنشأ يقول :

الخــــــــــــــــوف أولى بالمســــــــــــــــىء
إذا تألّاهـــــــــــــــــه والـــــــــــــــــحزن
والحب يجمــــــــــــــــل بالتقــــــــــــــــى
وبالنقــــــــــــــــسى من الـــــــــــــــــدردن

ويروون أن قوماً جلسوا يتذاكرون المحبة في الكعبة ، وكان الجنيد
أصغرهم سنّاً فطلبوا إليه الكلام ، فأطرق برأسه ودمعت عيناه ثم
قال : عبدٌ ذاهل عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ناظر
إليه بقلبه ، أحرقت قلبه أنوار هويته ، وصفا شربه من كأس وده ،
وانكشف له الجبار عن أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله
وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ومع الله ، فبكى
القوم وقالوا : ما على هذا مزيد ، جَبَّرَكَ اللهُ يا تاج العارفين .

والجنيد هو القائل :

وتحقــــــــــــــــقــــــــــــــــتْكَ في ســــــــــــــــرى
فناجــــــــــــــــاك لسانــــــــــــــــى
فاجتمعــــــــــــــــنا لمعــــــــــــــــان
وافترقــــــــــــــــنا لمعــــــــــــــــان
إن يــــــــــــــــكن غــــــــــــــــيبك التعــــــــــــــــظيم
عن لفظ عيــــــــــــــــانــــــــــــــــى
فلقد صــــــــــــــــيرك الوجود من الأحشاء دــــــــــــــــان

وهو القائل أيضًا في معنى المشاهدة :
حاضرٌ في القلب يعمره
لست أنساه فأذكره
فهو مولاي ومعتـمـدى
ونصـيبي منه أوفره

وقيل : أوصى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود إني حرمت
على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري .

ويروى عن أبي سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبي - صلى الله عليه
وسلم - في المنام ، فقلت له : يا رسول الله اعذرني ، فإن محبة الله تعالى
شغلتنى عن محبتك ، فقال : يا مبارك ، من أحب الله فقد أحبني .

ونطالع في هذه السطور لأبى الحسن الشاذلى - أحد أقطاب
العارفين بالله والمتصلين بأسرار الحب الإلهى - اقترابًا من حدود هذا
العالم الروحى السمع والأفق النورانى السامى ، وهو يتحدث عن
الأنس الربانى وشوارق الأنوار ولوائح الأسرار ويقف عند الأحوال
والمقامات ، يقول أبو الحسن :

« أول منزل يطؤه المحب للترقى منه إلى العلا : النفس ، فإذا اشتغل
بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرق عليه
أنوار المنزل الثانى وهو القلب ، فإذا اشتغل بسياسته حتى عرفه ولم
يبق منه عليه شىء ، أشرق عليه أنوار المنزل الثالث وهو الروح فإذا
اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئاً فشيئاً

إلى تمام نهاياته ، وهذه طريق العامة ، وأما طريق الخاصة فهي طريق
مسلوكة ، تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها . ويقول : « من
أمدّه الله تعالى بنور العقل الأصلي شهد موجوداً لا حد له ولا نهاية ،
بالإضافة إلى هذا العبد ، واطمحت جميع الكائنات فيه ، فتارة
يشهدا فيه كما بنى في الهواء بواسطة نور الشمس ، وتارة لا يشهد
انحراف نور الشمس من الكوة ، فالشمس التي يبصر بها هي العقل
الضروري بعد المادة بنور اليقين ، وإذا اضمحل هذا النور ذهبت
الكائنات كلها وبقي هذا الوجود ، فتارة يفنى وتارة يبقى ، حتى إذا
أريد به الكمال نودي فيه نداء خفياً لا صوت له ، فيمد بالفهم عنه ، ألا
إن الذي يشهد غير الله تعالى ليس من الله في شيء ، فهناك يتنبه من
سكراته فيقول : يارب ثبتني وإلا فأنا هالك ، فيعلم يقيناً أن هذا الحب
لا ينجيه منه إلا الله عز وجل فحينئذ يقال له : إن هذا الوجود هو العقل
الذي قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أول ما خلق الله
العقل ، فأعطى هذا العبد الذل ، والانقياد لنور هذا الوجود ، إذ لا يقدر
على حدّه وغايته ، فإذا أمد الله هذا العبد بنور أسمائه قطع ذلك كلمح
البصر ، أو كما شاء الله تعالى : نرفع درجات من نشاء ، ثم أمدّه الله
تعالى بنور الروح الرباني فعرف هذا الوجود فرقى إلى ميدان الروح
الرباني ، فذهب بجميع ما تخلّى به هذا العبد ، وما تخلّى عنه
بالضرورة ، وبقي كلا موجود ، ثم أحياء الله بنور صفاته فأدرجه بهذه
الحياة في معرفة هذا الوجود الرباني فلما استنشق من مبادئ صفاته
كاد يقول : هو الله . فإذا لحقته العناية الأزلية نادته : ألا إنّ هذا الوجود

هو الذي لا يحق لأحد أن يصفه ، ولا يعبر عنه شيء من سر صفاته لغير أهله ، لكن بنور غيره يعرفه فإذا أمده الله بنور سر الروح وجد نفسه جالساً على باب ميدان السر ، فرفع همته يعرف هذا الموجود الذي هو السر ، فعسى عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيء ، فإذا أمده الله تعالى بنور ذاته أحياء حياة باقية لا عاقبة ولا غاية لها ، فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة ، ووجد نور الحق شائعاً في كل شيء لا يشهد غيره ، فنودى من قريب : لا تغتر بالله ، فإن المحجوب من حجب عن الله بالله ، إذ محال أن يحجبه غيره ، وهناك يحيا حياة استودعها الله تعالى فيه ، ثم قال : أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك ، وهذا هو سبيل الترقى إلى حضرة العلى الأعلى ، وهو طريق المحبين الذين هم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما يعطيه الله تعالى لأحدهم من بعد هذا المنزل لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة ، والحمد لله على نعمائه .

وأما طريق المحبوبين الخاصة بهم ، فإنه ترقى منه إليه به ، إذ محال أن يتوصل إليه بغيره ، فأول قدم لهم بلا قدم ، إذ ألقى عليهم نور ذاته ، فغيبهم بين عبادته وحبب إليهم الخلوات وصغرت لديهم الأعمال الصالحات ، وعظم عندهم رب الأرض والسماوات ، فبينما هم كذلك إذ البسهم ثوب العدم ، فنظروا فإذا هم لا هم ، ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم ، فصار نظرهم عدماً لا علة له ، فانطمست جميع العلل ، وزال كل حادث ، فلا حادث ولا وجود ، بل ليس إلا العدم الذي لا علة له ، فلا معرفة تتعلق به ، اضمحلت المعلومات ،

وزالت الرسومات زوالاً لا علة فيه ، وبقي من أشير إليه ، لا وصف له ولا صفة ولا ذات ، واضمحلت النعوت والأسماء والصفات كذلك ، فلا اسم ولا صفة ولا ذات ، فهناك ظهر ما لم يزل ظهوراً لا علة فيه ، بل ظهر بسرّه لذاته في ذاته ظهوراً لا أولية له ، بل نظر من ذاته لذاته في ذاته ، وهناك يحيا العبد بظهور حياة لا علة لها ، وصار أولاً في ظهوره لا ظاهراً قبله ، فوجدت الأشياء بأوصافه وظهرت بنوره في نوره سبحانه وتعالى . ثم يغطس بعد ذلك في بحر بعد بحر إلى أن يصل إلى بحر السر فإذا دخل بحر السر غرق غرقاً لا خروج له منه أبد الآباد ، فإن شاء الله تعالى بعثه نائباً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، يحيى به عباده ، وإن شاء ستره يفعل في ملكه ما يشاء .

ويقول أبو الحسن الشاذلي : « لا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي إلا إن كانت لم تخطر له على بال ، فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور ، هذا في حق الكاملين ، فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة والمجاهدة » .

ويقول أيضاً : لن يصل العبد إلى الله تعالى وبقي معه شهوة من شهواته ، ولا مشيئة من مشيئاته ، ولن يقتل هو نفسه حتى يأخذها بالقوة وشدة المجاهدة إلى أن يذلها تذليلاً ويروضها على نسيان ذاتها ، فيقف عند حد الذل إلى الله تعالى .

وفي ذلك يقول عمر بن الفارض :

وما ظفرت بالسود روح مُراحَة
ولا بالولا نفس ، صفا العيش ودَّتْ

وأيّن الصفا ؟ هيهات بالعيش عاشقٌ
وجنة عدن بالمسكاره حُفَّتِ
ولى نفس حرّاً لو بذلت لها على
تسليّك ما فوق المنى ما تسلّت
ولو أبعدت بالصدّ والهجر والقلّى
وقطع الرّجا من خلّتى ما تخلّت
وعن مذهبي فى الحب ما لى مذهبٌ
وإن ملّت يوماً عنه فارقّت ملّتى
ولو خطرت لى فى سواك إرادة
على خاطرى سهواً قضيت برّدتى

ويقول بعض العارفين من المحبين : « لولا الحب لم يخلق الله فى
الناس حياة ، فالحياة حب الله هى السعادة والوجود ، وفى غير حب الله
هى الشقاء والفقد . وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ
من دون الله آنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشدّ حبا لله ، ولو
يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد
العذاب ﴾ .

فالمخلوق يحن إلى خالقه بضرورة وجوده ، لا يجد محبوباً أسمى
فى الله ، ولا يجد راحة إلا فى السكون إليه وغنىّ إلا به ، ولا جمالاً إلا فى
التشوق إليه ، والخالق يحن إلى من خلق ببرّه ورحمته ، وبحكم احتياج
المخلوق إلى خالقه إلا إذا كان من الكافرين الأشقياء ، أو ذل بالحب
المادى حتى هلك فيه .

وهو شبيه بقول من قال : سألت ربي بأي شيء أصل إليك يا رب ؟
فقال : اترك نفسك وتعال .

فإذا قتل حب النفس والأنانية والشهوات ، عاش لله بلا نفس ،
وكانت الروح القدس هي المتغلبة على النفس فمحتها وعاش بها
مطلقاً في سماء القدس لا يهوى الدنيا وأهلها .

ويقول ذو النون المصري : الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالناس
سم قاطع . الشوق أعلى الدرجات والمقامات إذا بلغه العبد استبطأ
الموت شوقاً إلى ربه ، وحباً للقاءه والنظر إليه .

ويقول : مدار الطريق على أربع : حب الجليل ، وبغض القانى
القليل ، واتباع التنزيل .

ويقول :

لا لأنى أنسك أكثر ذكراك
ولكن بذاك يجرى لسانى

ويقول :

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكر
ولكن نسيم القرب يبدو فيظهر
وأحيا به عنى وأحيا به له
إذ الحق عنه مخبر ومعبّر
ومن أشعاره في الحب الإلهي :

أنت في غفلة وقلبك ساهى
فغدا العمر والذنسوب كماهى

جمّةٌ أحصيت عليك جميعاً
في كتاب وأنت عن ذاك لاهى
لم تبادر بتوبة منك حتى
صرت شيخاً فحبلك اليوم وإه
فاجتهد في فكاك نفسك واحذر
يوم تبدو السمات فوق الجباه
وتصل الحال بالعارفين والعاشقين إلى أعلى درجات الذكر ،
والمشاهدة فيفيض البيان بما عجز عن كتمانته القلب واللسان .
يقول الشبلي الذي كان يقوم بالليل ويكتحل من الملح ليعتاد السهر
ولا يأخذه النوم :

ذكرتك ، لا أنسى نسيتك لحظة
وأيسرُ ما في الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى
وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضري
شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبتُ موجوداً بغير تكلم
ولاحظت معلوماً بغير عيان
ويقول النابلسي الذي شغلت أذكاره الناس في مصر والشام
والعراق لما فيها من عذوبة الإيقاع وجيشان النغم وخفة الروح في
أنشودة الساقى :

ساقى يا ساقى
اسقنى من خمره الباقى
واكشف لى عن قيد إطلاقى
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
أسـتـاره راحـت
عن عيني والزهرة فاحت
والسكرة بالأسرار باحت
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
اكشف لى عنك
فى ذاتى وافتح لى دُـنـك
واجعلنى يا حبيبي أنـك
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
افتح لى باب الحان
واسمعنى من طيب الألحان
وارشفنى من كأسى الملائن
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
من يشرب يسـكـر
من خمري لما يتفكر
والمغرور فى علمه أنـكـر
آه يا ساقى ، آه يا ساقى

لا يعرفُ أمرى
 إلا من يشرب خمري
 أحشاؤه تصلى في جمري
 آه يا ساقى ، آه يا ساقى
 ويقول النابلسى في تجليات وجه المحبوب ، وهى مقطوعة ذاعت في
 حلقات الأذكار عن المتصوفة والعشاق :
 تجلى وجه محبوبى
 وهذا كُـلُّ مطلبى
 فيانار العدا ذوبى
 بعيدٌ عنك مشروبى
 جمال الأهيف الزاهى
 وحسن الأغيد الباهى
 به صبرى هو الواهى
 وموتى فيه مرغوبى
 رأينا نوره أشرق
 فكنا برقه الأبرق
 ولا نجد ولا أبـرق
 سوى الإبريق والكوب
 علينا الخمر قد دارت
 بها البائنا حارـت

وأطيار الهوى طارت
بترتيب وأسلوب
ملح الكون وافسانا
وزاد الحسن احسانا
وحيا يوسف الانا
فقرت عين يعقوب
ويروون أن أبا حمزة الخراساني كان يقول : من استشعر ذكر
الموت حبيب الله إليه كل باقٍ وبغضٍ إليه كل فانٍ .
وقال له رجل : أوصني ، فقال له أبو حمزة : هي زادك للسفر الذي
بين يديك .

ومن أشعاره في معنى الشهود والرضا بالحبيب :
أهابك أن أبدى إليك الذي أخفى
وسرى بيدي ما يقول له طرقي
نهاني حياثي منك أن أكتم الهوى
وأغنيتهني بالفهم منك عن الكشف

ويروون أن سحنون المحب سئل ذات يوم عن التصوف فقال : هذا
مذهب كله جدٌ فلا تخلطوه بشيء من الهزل .

ومن أقواله : من علامة الاغترار أن تسيء فيحسن الله إليك فتترك
الإنابة والتوبة توهمًا أنك تسامح في الهفوات وترى أن ذلك من بسط
الحق عليك .

ويقول : الفقير الصادق الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى ، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقير .
ويقول سحنون واصفاً حال المحبين العارفين :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكّارهم وقت المناجاة للسرّ
ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم
تحنّ إلى التقوى وترتاح للذكر
أديرت كنوس للمنايا عليهم
فأغفوا عن الدنيا كل غفاء ذي السكر
همومهمو جواله بمعسكر
به أهل ودّ الله كالأنجم الزهر
فأجسادهم في الأرض قتلى بحبّه
وأرواحهم في الحجب نحو العلاتسرى
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم
وما عرجوا عن مس يؤس ولا ضرّ
سكّون إلى روح اليقّين وطيبه
كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجّر

وسحنون هو القائل :

كان لي قلب أعيش به
ضباع منى في تقلّبه
ربّ فاردّه على فقير
ضباق صدري في تطلّبه

وَأَغْتُ مَا دَامَ بَسَى رَمَقٌ
يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِ بِهِ

ويقول الإمام القشيري :

الغيبية غيبية القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال
الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره ، يوارد
من تذكر ثواب أو تفكر عقاب .

ويروون عن علي بن الحسين أنه كان في سجوده فوق حريق في
داره فلم ينصرف عن صلاته ، فسئل عن حاله فقال : ألتهنى النار
الكبرى عن هذه النار .

ويقول بعض العارفين :

إن المحب يكون في المظهر كسائر الناس ، لكنه في الحقيقة غائب
عنهم في طلب مراده ، ويستوى عنده الموت والحياة ، مادامت روحه
متعشقة لذات حبيبه مسلمة له في جميع الأمور . فحياته فناؤه وفناؤه
حياته ، ولو علم الناس حقيقة البقاء في حضرة الحق وانكشف لهم
الحجاب لم يزاولوا أمراً من أمور الدنيا ، وقراموا على أعتاب البقاء لما
فيه من السعادة .

ومن هنا جاء شعرهم :

قد شربنا من حبه فسكرنا
وعرفنا من أين نأتى الجوارا
ودخلنا دار الكرامة نروى
بيقين الهوى وكنسا حينئذى

اعذرونا إذا نهيم ، فإننا
في ديار الهوى خُلِقْنَا أُسَارَى
وترانا من حيث نشرب في الكأس
سُكَّارَى ولم نكن بسُكَّارَى
نتحصَّلَى بالعلم في كل نَادٍ ،
ونُرى بالتقوى علينا إزارا
فقلوب مثل الكواكب فينا
تُظهر النور فهو لا يتوارى

وامتلأت كتب تراثنا العربى بالكثير من أجوبة المحبين العارفين ،
أهل التصوف والعشق الإلهى ، لما حفلت به من جوامع الكلم ، ومن
نماذج بليغة ، رفيعة التعبير ، مشرقة البيان ، فضلاً عن امتلائها بكل ما
يُزِين مكارم الأخلاق .

قيل لسهل بن عبد الله المروزي : مالك تكثر التصديق ؟ فقال :
لو أن رجلاً أراد أن يتنقل من دار إلى دار ، أكان يُبقى في الأولى
شيئاً؟ .

وقيل للربيع بن خيثم وقد اعتل : ندعو لك بالطبيب ؟
فقال : قد أردت ذلك فذكرت عاداً وشموداً وأصحاب الرُس وقروناً
بين ذلك كثيراً ، وعلمت أنه كان فيهم الداء والمداوى فهلكوا جميعاً .
وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظاات ؟ فقال : محلة الأموات .
وقيل للحسن البصري : كيف ترى الدنيا ؟ فقال : شغلنى توقع
بلائها عن الفرح برخائها .

وقيل للفضيل بن عياض : إن ابنك يقول : وددت أنى فى مكان أرى
الناس ولا يروننى .

فقال : يا ويح ابنى ، أفلا أتمها فقال : لا أراهم ولا يروننى .

وقيل لبعض الصوفية : أى شىء أعجب عندك ؟

فقال : قلب عرف الله ثم عصاه .

وقيل لآخر : مالك كلما تكلمت بكى من يسمعك ، ولا يبكى من كلام

واعظ المدينة أحد ؟

فقال : ليست النائحة الثكلى كالناائحة المستأجرة .

وقيل للربيع بن خيثم : ما نراك تغتاب أحداً ، فقال : لست عن حالى

راضياً حتى أتفرغ لذم الناس .

وقيل لعبد الله بن المبارك : حتى متى تكتب كل ما تسمع ؟

فقال : لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد .

وقيل لصوفى : ما صناعتكم ؟

فقال : حسن الظن بالله وسوء الظن بالناس .

وقيل للشبلى : لم سمى الصوفى ابن الوقت ؟

فقال : لأنه لا يأسف على الفائت ولا ينتظر الوارد .

وقيل لابن السماك : ما الكمال ؟

فقال : الكمال أن لا يعيب الرجل أحداً يعيب فيه مثله حتى يصلح

ذلك العيب من نفسه ، فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب حتى يهجم على

آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس ، وأن لا يطلق لسانه ويده حتى

يعلم أى طاعة أم فى معصية ، وأن لا يلتمس من الناس إلا ما يعلم أنه

يعطيهم من نفسه مثله ، وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم ،
وتوفيته حقوقهم ، وأن ينقق الفضل من مساله ويمسك الفضل من
قوله .

وقيل للشبلي : من الرفيق ؟

فقال : من أنت غاية شغله .

ويقول ابن عطاء الله السكندري :

دخلت على الشيخ - رضى الله عنه - وفي نفسى العزم على التجريد
قائلاً فى نفسى : « إن الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة بعيد مع
الاشتغال بالعلوم الظاهرة ووجود المخالطة للناس » فقال لى من غير
أن أسأله :

صحبنى إنسان مشغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من
هذه الطريق شيئاً ، فجاء إلى فقال : يا سيدى أخرج عما أنا فيه وأتجرد
لصحبتك ، فقلت له : ما الشأن ذاك ، ولكن امكث فيما أنت فيه ، وما
قسم الله لك على أيدينا فهو إليك واصل ، ثم قال الشيخ - ونظر إلى -
« وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شىء حتى يكون الحق
سيحانه وتعالى هو الذى يتولى إخراجهم ، فخرجت من عنده وقد غسل
الله تلك الخواطر من قلبى ، ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى » .

ويقول ابن عطاء الله :

إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شىء ، لغيبتهم عن الله فى كل
شىء ، ولو شهدوه فى كل شىء ، لم يستوحشوا من شىء .
ويقول :

علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه . لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ، ومحو ذنوبك لم تصل إليه أبدًا ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ، ونعتك بنعته ، فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه .

ويقول :

حظ النفس في المعصية ظاهر جلي ، وحظها في الطاعات باطن خفي ، ومداناة ما يخفى صعب علاجه .

ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك .

ويقول ابن عطاء الله في استغاثاته :

إلهي : أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيرًا في فقرى .

إلهي : أنا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون جهولًا في جهلى .

إلهي : وصفت نفسك باللطف والرافة بى قبل وجود ضعفى أفتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى .

إلهي : إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوىء فبعدلك ولك الحجة على ، ها أنا أتوسل إليك بفقرى إليك ، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك ؟ أم كيف أشكو إليك حالى وهى لا تخفى عليك ، أم كيف أترجم لك بمقالى وهو منك برز إليك ؟ أم كيف تخيب آمالى وهى وفدت إليك ؟ أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت وإليك ؟

وينفتح أمام قلبه باب الرجاء فيقول :

إلهي : كلما أخرجسنى لؤمى أنطقنى كرمك ، وكلما أيسئسنى أوصافى

أطمعنتى منّتك .

وينكر ابن عطاء الله أن تكون الكائنات هي الشاهد على وجود الله
فيقول :

إلهى : كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ؟

أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟
متى غبت حتى نحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى
تكون الآثار هي التي توصل إليك .

إلهى : أمرت بالرجوع إلى الآثار ، فأرجعنى إليها بكسوة الأنوار ،
وهداية الاستبصار ، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها
مصنون السرّ عن النظر إليها ، ومرفوع الهمّة عن الاعتماد
عليها، إنك على كل شيء قدير .

ويتلهف على الوصول إلى الله فيقول :

إلهى : منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك فاهدنى بنورك
إليك ، وأقمنى بصدر العبودية بين يديك .
إلهى : تقدس رضاك عن أن تكون له علة منك ، فكيف تكون له علة
منى ، أنت الغنى بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك ، فكيف لا
تكون غنياً عنى .

ويقول ابن عطاء الله : إلهى ، إن رجائى لا ينقطع عنك وإن
عصيتك، كما أن خوفى لا يزايلك وإن أطمعتك .

ويشير الدكتور زكى مبارك في كتابه عن التصوف الإسلامى إلى أن
لابن عطاء الله كلمات سارت مسير الشمس ، فكانت شاهداً على قوته

الروحية ، من بينها قوله : إلهى ، هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا حالى لا يخفى عليك ، بك أستنصر فانصرنى ، وعليك أتوكل فلا تكلنى ، وإياك أسأل فلا تخيبنى وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ، ولجنايك أنتسب فلا تبعدنى ، وببإيك أقف فلا تطردنى .

ويقول إسحاق بن إبراهيم السرخسى : سمعت ذا النون وفى يده الغل - أى القيد - بعد أن سيق إلى الخليفة المتوكل من مصر إلى بغداد مقيداً مغلولاً لأن بعض من لم يفهموه وشوا به واتهموه فى دينه - وهو يساق إلى الموت والناس ييكون حوله وهو يقول :
هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه ، وكلُّ فعالة عذب حسنٌ طيب ، ثم أنشد :

لك من قلبى المكان المصونُ
كلُّ لوم على فيك يهونُ
لك عزمٌ بأن أكون قتيلاً
فيك ، والصبر عنك ما لا يكونُ

ومن أقوال ذى النون : الصوفية قوم أثروا الله على كل شىء فآثرهم على كل شىء ، ومن وصايا المأثورة عند الصوفية :

ليس بذى لبٍ من كاس (أى التزم بالكياسة) فى أمر دنياه وحمق فى أمر آخرته ، ولا من سفيه فى مواطن حلمه ، وتكبر فى مواطن تواضعه ، ولا من فقد منه الهوى فى مواضع طعمه ، ولا من غضب من حق إن قيل له ، ولا من زهد فيما يرغب العاقل عن مثله ، ولا من زهد فيما يزهد الأكياس فى مثله ، ولا من استقل الكثير من خالقه عز وجل ،

واستكثر قليل الشكر من نفسه لغيره ، ولا من نسي الله في مواطن طاعته ، وذكر الله في مواطن الحاجة إليه ، ولا من جمع العلم فعرف به ثم أثر عليه هواه عند متعلمه ، ولا من قلّ منه الحياء من الله على جميل ستره . ولا من أغفل الشكر عن إظهار نعمته ، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته إذا صبر عدوه على مجاهدته ، ولا من جعل مروءته لباسه ، ولم يجعل أدبه درعه وتقواه لباسه ، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفاً وتزييناً في مجلسه .

ثم يقول :

أستغفر الله ، إن الكلام كثير ، وإن لم تقطعه ينقطع ، لا تخرجوا من ثلاثة : النظر في دينكم بإيمانكم ، والتزود لأخركم من دنياكم والاستعانة بربكم فيما أمركم به ، ونهاكم عنه .

ويقول يحيى بن معاذ : يكاد رجائي لك مع الذنوب ، يغلّب رجائي لك مع الأعمال ، لأنني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص ، وكيف أحررها من الرياء وأنا بالآفة معروف ، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف ؟

ويروى السراج الطوسي أن رجلاً وقف على الشبلي فقال له : أي صبر أشدّ على الصابرين ؟ فقال : الصبر لله ، فقال الرجل : لا ، فقال الشبلي : الصبر مع الله ، فقال الرجل : لا ، فغضب الشبلي وقال : ويحك ، فماذا ؟ فقال الرجل : الصبر من الله عز وجل .

فصرخ الشبلي صرخة كادت تُتلف روحه .

ثم يقول السراج : وسألت ابن سالم بالبصرة عن الصبر فقال : هو

على ثلاثة أوجه : متصبر وصابر وصَبَّار ، فالمتصبر من صبر في الله تعالى ، فمرة يصبر على المكروه ومرة يعجز ، والصابر من يصبر لله وفي الله ولا يعجز ، وأما الصَبَّار فذلك الذي صبره في الله والله وبالله ، فهذا لو وقعت عليه جميع البلائ لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخلقة .

وبانتقال التجربة الصوفية في التعبير عن الحب الإلهي - نثرًا وشعرًا - إلى محيي الدين بن عربي ، تزداد لغتها قوة وحرارة ورصانة ، وتمتلئ بالتعابير والاصطلاحات والرموز التي يتطلب فهمها واستيعابها شروحًا وذيولًا وإفاضات تفتح بها مغاليق ذلك العالم الواسع الرحيب الذي يحلق فيه ابن عربي ويطوف ، في مشاهد أنسه ومجالي تجلياته .

ويعده الدكتور زكي مبارك في كتابه « التصوف الإسلامي » من طبقة الكتاب العظام ، ويرى أن نثره يمتاز بميزة عجيبة ، هي أنه لا يشغلك بالالفاظ ، وإنما يشغلك بالمعاني ، ففي كل صفحة من كتبه معركة عقلية ، فالقوة البيانية عنده قوة فكرة لا قوة تهويل .

يقول ابن عربي :

كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي ، وهزني حال كنت أعرفه ، فخرجت من البلاط من أجل الناس وطففت على الرمل ، فحضرتنني أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسي ومن يليني لو كان هناك أحد ، فقلت :

ليت شعري هل دروا أى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى أى شعب سلكوا
أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى فى الهوى وارتبكوا

فلم أشعر إلا بضربة بين كتفى بيد ألين من الخز ، فالتفت فإذا
بجارية من بنات الروم لم أر أحسن وجهًا ولا أعذب منطقتًا ، ولا أرقَّ
حاشية ، ولا ألطف معنى ولا أدق إشارة ، ولا أظرف محاورة منها ، قد
فاقت أهل زمانها ظرفًا وأدبًا وجمالًا ومعرفة ، فقالت : يا سيدى كيف
قلت ؟ فقلت :

ليت شعري هل دروا أى قلب ملكوا
فقالت :

عجبًا منك وأنت عارف زمانك ، تقول مثل هذا ؟
أليس كل مملوك معروفًا ؟ وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة
وتمنى الشعور يؤذن بعدمها ، والطريق لسان صادق ،
فكيف يجوز لمثلك أن يقول هذا ؟ قل يا سيدى ، فماذا قلت
بعده ؟

قلت :

وفؤادى لو درى أى شعب سلكوا
فقالت :

يا سيدى ، الشعب الذى بين الشفاف والفؤاد هو المانع له

من المعرفة ، فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول إليه إلا
بعد المعرفة والطريق لسان صدق ، فكيف يجوز لمثلك أن
يقول هذا ؟ يا سيدي ، فماذا قلت بعده ؟

فقلت :

حار أربابُ الهوى في الهوى وارتبكوا

فصاحت وقالت :

يا عجباً ، كيف يبقي للمشغوف فضلة يحار بها ، والهوى شأنه
التعميم يخدر الحواس ، ويذهب العقول ، ويدش الخواطر ويذهب
بصاحبه في الذاهبين ، فأين الحيرة وما هنا باق فيحار ، والطريق لسان
صدق والتجوز من مثلك غير لائق ، فقلت :

يا بنت الخالة ، ما اسمك ؟ فقالت : قرّة العين ، فقلت : لي ! ثم سلمتُ
وانصرفت ثم إنني عرفتُها بعد ذلك وعاشرتها فرأيت عندها من لطائف
المعارف ما لا يصفه واصف .

ومن الآثار الجميلة لابن عربي أبيات يقول فيها :

ذبت اشتياقاً ووجدًا في محبتكم

فأه من طول شوقي أه من كمدى

يدى وضعت على قلبي مخافة أن

ينشق صدرى لما خاننى جلدى

ما زال يرفعها طوراً ويخفضها

حتى وضعت يدي الأخرى تشد يدي

ومن منظوماته التي يقعد فيها للتصوف ، ويضمنها خلاصة أفكاره ونظراته - في الإشارة إلى الألفة بين العبد والرب - مقطوعة يقول فيها :

كَلَّمَا قَلْتُ : سَيِّدِي	قَالَ لِي : أَنْتَ مَالِكِي
سَيِّدُ وَاللَّهِ كَوْنٌ	عَبْدِي عَلَى مَسَالِكِي
مَالِنَا عَنْهُ صَارَفٌ	فِي جَمِيعِ الْمَدَارِكِ
لَسْتُ فِي عَيْنِهِ وَلَا	فَعَلِيهِ بِالْمَشَارِكِ
فَهُوَ الْمَالِكُ الَّذِي	لَيْسَ يَدْعَى بِمَالِكِ
وَأَنَا الْخَادِمُ الَّذِي	يُعْتَنَى بِالْمَمَالِكِ
قَلْتُ يَا رَبَّ عَصْمَةَ	مِنْ سَبِيلِ الْمَهَالِكِ
قَالَ : سَمِعَا فَأَنْتَ عَبْدِي	مِنْ أَهْلِ الْأَرَائِكِ
فِي سُرُورٍ وَغَبْطَةٍ	لَا مِنْ أَهْلِ الدَّرَائِكِ

ويوضح الدكتور محمود قاسم في كتابه عن (الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي) كيف سبق ابن عربي شعراء الرومانتيكية في العصر الحديث إلى إدراك أن الخيال أعظم قوة خلقها الله ، وهو يرمى في المقام الأول إلى الربط بين الكشف الصوفي وهذه القدرة التي يصفها بأنها استمرار لعملية الخلق الإلهي : « فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجودًا من الخيال ، فبه ظهرت القدرة الإلهية والاقترار الإلهي ، فهو أعظم شعائر الله على الله ، ومن قوة حكم سلطانه ما تثبته الحكماء ، مع كونهم لا يعلمون مما قالوه ، ولا يوفونه حقه ، وذلك أن

الخيال - وإن كان من الطبيعة - فله سلطان عظيم على الطبيعة بما أيده الله من القوة الإلهية » .

ومن هنا كان تفسير ابن عربى لما أنعم به الله عليه من فتوحات ضمنها كتابه « الفتوحات المكية » القائم على أن هذا الكتاب ليس إلا وليد تلك الصور الخيالية التى كان يتلقاها - كمحب - بعين الخيال فى حال اليقظة وأحياناً فى أحلامه ، ويصف هذا كله بأنه نوع من الإلقاء الإلهى الذى ينزل على قلبه . ويلجّ ابن عربى - خشية المسارعة إلى اتهامه - فى تأكيد أن ما يتلقاه من فيوض وفتوحات ليس شبيهاً بالوحي الذى اختص الله به رسله إذا انقطعت النبوة والرسالة بموت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإنما هو جود إلهى ، أو هو ضرب من الحكمة ، تلك الحكمة التى لا يعلمها إلا من أوتىها « فهى هبة من الله تعالى » كما وهبنا وجود أعياننا ولم نكن شيئاً وجودياً .. وهذا الكتاب من ذلك النمط .. فوالله ما كتبت منه حرفاً إلا من إملأه إلهى ، وإلقاء ربانى ، أو نقث روحانى فى روع كيانى .. هذا جملة الأمر مع كوننا لسنا برسول مشرعين ولا بأنبياء مكلفين ، فإن رسالة التشريع ونبوة التكليف قد انقطعت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا رسول بعده ، ولا نبي يشرع ولا تكليف ، وإنما هو علم وحكمة وفهم من الله فيما شرعه على ألسنة رسله وأنبيائه عليهم سلام الله .. وما خط فى لوح الوجود من حروف العالم وكلمات الحق ، فالتنزيل لا ينتهى بل هو دائم دنيا وآخرة :

الله أنشأ من طيٍّ وخلولان

جسمى ، فعدلنى خلقاً وسوانى

وأنشأ الحق لى روحا مطهرة
 فليس بنيان غيرى مثل بنيانى
 إنى لأعرف روحا كان ينزل بى
 من فوق سبع سماوات بفرقان
 يريد قوله تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ .

[سورة الأنفال : الآية ٢٩]

ويؤكد الدكتور محمود قاسم^(١) كما يؤكد سائر الباحثين أن ابن
 عربى فى نثره وشعره - لم يحب أحداً فى الحقيقة سوى الله ، ولكنه
 احتجب عن الله تعالى بحب زينب وسعاد وهند وليلى والدينار والدرهم ،
 فكل هذه الضروب من الحب ليست إلا صوراً أو رموزاً لحقيقة كبرى
 لا يمكن التعبير عن جمالها وجلالها ، إلا إذا سلك العاشق لها سبيل
 الغزل والتشبيب لكى يصور فيها ما استطاع ، ما يختلج بفؤاده من
 حب وهيام .

يقول ابن عربى :

كل ما أذكره من طلل	أو ربوع أو مغان كل ما
وكذا إن قلت ها أو قلت يا	والأ ، إن جاء فيه ، أو أما
وكذا إن قلت هي أو قلت هو	أوهمو، أو هنّ جمعاً ، أو هما
وكذا إن قلت : قد أنجد لى	قدر فى شعرنا أو أتهما
وكذا السحب إذا قلت بكت	وكذا الزهر إذا ما ابتسما

(١) الخيال فى مذهب محيى الدين بن عربى (فصل عن الحب الإنسانى والحب الإلهى) للدكتور
 محمود قاسم .

أو أنادى بحداة يميموا	بأنة الحاجز أو ورق الحمى
أو بدور في خدود أفلت	أو شمويس أو نبات أنجما
أو بروق أو رعود أو صبا	أو رياح أو جنوب أو سما
أو طريق أو عقيق أو نقا	أو جبال أو تلال أو رما
أو نسائ كاعبات نهدي	طالعات كشموس أو دمي
كل ما أذكره مما جرى	ذكره ، أو مثله أن تفهما
منه أسرار وأنوار جلست	أو علت جاء بها رب السما
لفؤادي أو فؤاد من له	مثل مالي من شروط العلما
صفة قدسية علوية	أعلمت أن لصدقي قدما
فاصرف خاطر عن ظاهرها	واطلب الباطن حتى تعلما

ومن هنا يمكن تذوق وتفسير الكثير من الآثار الشعرية لابن عربي،
في الحب الذي وجدته ذوقا ، ففاق كونه عشقا مفرطا ، وهوى مقلقا
وغراما ونحولا ، وامتناع نوع ، دون أن يتحدد المحبوب .

يقول ابن عربي :

علقت بمن أهواه عشرين حجة
ولم أدر ما أهوى ، ولم أعرف الصبرا
ولا نظرت عيني إلى حسن وجهها
ولا سمعت أذنائي قط لها ذكرا
إلى أن تراءى البرق من جانب الحمى
فنعمنى يوما ، وعذبني دهرًا
ويقول في المعنى نفسه :

علقت بمن أهواه من حيث لا أدري
ولم أدرك من هذا الذي قال لا أدري
فقد حرت في حالي وحارت خواطري
وقد حارت الحيرات في وفي أمري
فبيننا ما من بعد عشرين حجة
أترجم عن حب يعانقه سرى
ولم أدرك من أهوى ، ولا أعرف اسمه
ولم أدرك من هذا الذي ضمّه صدرى
إلى أن بدا لي وجهها من نقابها
كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر
فقلت لهم : من هذه ؟ قيل هذه
بُنيَّة عين القلب ، بنت أخى الصدر
فكبرت إجلا لا لها ، ولأجلها
فليلي بها أربى على ليلة القدر

ويروى ابن عربى في كتابه ، « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار »
حديثاً عن ابن باكويه عن أبى الفضل القطان عن جعفر الخلدى قال :
سمعت الجنيد يقول : حججت على الوحدة فجاورت مكة فكنت إذا جن
الليل دخلت أطوف ، فإذا بجارية تطوف وهى تقول :
أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته
فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره
وإن رمت قربان حبيبى تقربا

ويبدو فأفنى ، ثم أحيا بذكره
ويسعدنى حتى الذَّ وأطربا
فقلت لها : يا جارية ، أما تتقين الله في هذا المكان ، تتكلمين بهذا
الكلام ؟ فالتفتت إلى وقالت : يا جنيد :

لولا التقى لم ترنى	أهجر طيب الوسن
إنَّ التقى شردنى	كما ترى عن وطنى
أفر من وجدى به	فحبسه هيمنى

ثم قالت : يا جنيد ، تطوف بالبيت أم برب البيت ؟ قلت أطوف
بالبيت . فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : سبحانك ، ما أعظم شأنك في
خلقك ، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ، ثم أنشأت تقول :

يطوفون بالأحجار ييغون قربةً
إليك ، وهم أقسى قلوباً من الحجر
وتاهوا ، ولم يدروا من التيه من همو
وحلوا محل القرب في باطن الفكر
فلو صدقوا في الود غابت صفاتهم
وقامت صفات الود للحق في الذُّكر

قال الجنيد : فغشى على من قولها ، فلما أفقت لم أرها .
والمتأمل في آثار هؤلاء المتصوفة والعشاق الهائمين في ساح الحب
الإلهى يرى أنها تصدر عن مبدئين يحكمان الأمر كله ، أولهما أن العقل
الإنسانى وحده غير كاف في الهداية إلى الله ، فليس فيه غناء في هداية

الإنسان إلى الإيمان الحق . ومن هنا ، فهم جميعًا يلجأون إلى القلب واستشعار الحب الإلهي طلبًا لنور الهداية والإشراق العلوي . وهي السبيل المألوفة للنجاة عندهم . فالعقل - في رأيهم - لا يستطيع حل كثير من المسائل .

يقول الغزالي وهو يتحدث عن الصوفية : « وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لي أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال ، وتبدل الصفات^(١) وكان قد حصل معي من العلوم التي درستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفى العلوم الشرعية والعقلية ، إيمان يقيني بالله تعالى ، وبالنبوة ، واليوم الآخر ، فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي ، لا بدليل معين محرر ، بل بأسباب وقرائن ، وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها » .

ويوضح الغزالي أن وصوله إلى طريق الأمن واليقين لم يكن بنظم دليل وترتيب وكلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر :

« وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف ، ومادام الأمر للذوق والكشف ، فطريق الصوفية إذن مفتاحها هو استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله » .

والمبدأ الثاني في فكر هؤلاء المتصوفة من العشاق أن العاطفة

(١) المنقذ من الضلال - للغزالي تقديم الدكتور / عبد الحليم محمود .

لا العقل هي السبيل للوصول إلى الله ، يقول الغزالي « كان ذلك أول حال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين تبتل ، حين أقبل إلى غار حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد ، حتى قالت العرب : إن محمداً عشق ربه » .

وهكذا كان الحب الجسدي في آثار هؤلاء العشاق طريقاً إلى الحب الإلهي ، إذ الجمال في الخليقة مرآة جمال الله ، وهؤلاء يذهبون في شرحهم لخلق الكون إلى أن الأصل فيه الجمال الإلهي ، وذلك أن الصفة الجوهرية في الجمال هي أنه بطبعه ميال إلى الظهور والإيحاء بنفسه . وهذا هو الباعث لدى الجمال الأقدس أن يخلق ليعرف بهم ، ويعتمد الصوفية في هذا على الحديث القدسي : « كنت مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق ، فبى عرفوني » .

ولما أراد ذو الكمال المطلق والجمال الاسمي أن يعرف ، كان لابد أن يعرف بمخلوقات فيها نقص وفيها شر ، ليبدل نقصهم على كماله وخيره كما يدل الظلام على النور ، وقد بقيت بالضرورة فيهم لمحات من أنوار مشوبة بألوان ظلمات ، وهذه اللمحات هي مرآة النور المطلق الذي لا لون له ، وتنأى الخلائق عن الله بمقدار انغماسها في المادة وظلماتها ، لأنها تبعد بذلك عن النور المطلق المتصف به واجب الوجود . وتقرب من الكمال بمقدار بعدها عن ظلمات المادة وتعلقها بمظاهر الجمال والخليقة ، وهذا الجمال هو مرآة ذي الجلال ، حتى ترقى بالحب الإلهي إلى الفناء في الذات الإلهية ، وتعود بذلك إلى أصلها الذي صدرت عنه . فالجمال الإلهي هو الأصل في الخليقة ، والفناء فيه عن

طريق المحبة هو طريق الارتقاء إلى العلم الأقدس ، ومن أسباب المحبة التأمل في جمال الوجود ، إذ أن ذلك الجمال فيض من جمال واجب الوجود .

فهؤلاء العشاق من المتصوفة - بتأملهم في جمال الخلق - يتقربون إلى جمال الحق ، وبطول تأملهم فيه ، يعترهم ذلك الشعور الفياض ، الذي يستغرقون فيه - حتى يصلوا إلى حالة الوجود - ويغيبون عن وعيهم الحسّي ويعترهم من الهيام بالله ما يرقصون فيه طرباً لاهجين بذكر الله أو مرددين اسمه على لسانهم في حلقات الذكر .

* * *

وهذه النماذج المختارة من قصائد الحب الإلهي عند أشهر العشاق والمتصوفة وأصدقهم تجربةً ووجدًا ذات قيمة فنية وإنسانية رفيعة ، حتى وإن لم نستطع الوصول إلى أعماق معانيها ودلالاتها الخبيئة . فهي أولاً تجارب حياتية صادقة لدى هؤلاء المتصوفة الحقيقيين الذين لم يكونوا في طريقهم أو مذهبهم بآدعياء ، ومن شأن هذه التجارب الصادقة أن تثري الحياة إذا انسكب تصويرها والتعبير عنها من خلال أقلام ذوي المواهب والقدرة ، وفي هذا يفترق الأدب الصوفي عن أدب الصنعة والتكلف ، وعن أدب التكسب والارتزاق الذي منى به الشعر الغنائي العربي ، فاستنفدت طاقات شعرية خلّاقة أو كاد يستنفدها ، كانت جديرة بما هو أرقى وأسمى من عطاء الفن والخلود لو انصرفت إلى تصوير ما عانته من تجارب الحياة والعصر ، مخلصّة في التعبير عن هواجس النفس وهموم الذات وتجارب الوجدان . ولقد

كان الصديق دعامة الأدب الصوفي في عصوره الأصلية - قبل أن يدركه التقليد على أيدي فقراء الموهبة وفاقدى التجربة - وكان صدق التناول فيما بين الشاعر ونفسه سبيلا إلى التجويد في التعبير عن حميمية هذه التجارب ونضج تصويرها الفنى .

ومن هنا ، يلاحظ المتأملون في هذه النماذج الرفيعة ، أن أدب الصوفية في شعرهم ونثرهم - يخفى دلالاته الإيجابية المستترة على الرغم من مظهره السلبي الخادع وطابع تشاؤمه الموغل في الحزن . ذلك أن هذا الأدب - في مجموعته - كان هروبا من الحياة وانسحابا من الواقع المثقل بالأسى والظلم والتخلف ، ولكن المتصوفة عرفوا كيف يضيفون على هذا الهرب أبعادا تتجاوز مجرد الشكوى والأنات ، وحزن الضعف والتوانى - عندما هربوا بفكرهم إلى الطبقات العليا من أجواء الروح المتعالية والنفس المتسامية والخيال الحر الطليق .

صحيح أن هؤلاء الصوفية - من العشاق - قد عزفوا عن نشدان السعادة في هذه الحياة ، لأنهم يائسون من الظفر بها في الحياة الدنيا ، واتجهوا مخلصين إلى نشدان سعادتهم في العالم الآخر داعين إلى التعجيل بالرحيل من هذه الدنيا عازفين عن كل ما تحفل به من ماديات ومتع موقوتة ، ولكنهم في تبرير مسلكهم هذا قد صوروا - في صدق وروعة وأصالة - ما حفلت به عصورهم من شرور ومآثم ، وكانوا في هذا المجال أعمق إدراكا وأقوى دلالة من سواهم من الكتاب والشعراء الذين جاروا عصورهم ومالئوا المستبدين بها ، وتستروا على ما زخرت به من زيف وطغيان ، وقد كان هذا الطغيان في أكثر حالاته طغيان

سلطان المال في تلك المجتمعات التي استبد فيها سلطان الفرد كما انسحقت الغالبية تحت رحي الإقطاع فتلاشت مواهب كثيرة ، وتبددت طاقات خلاقة ووثدت أصوات كانت تُبشّر بانطلاقات جديدة عارمة ، وانطمست معالم الرأي السليم والفكر الناضج .

لهذا ، فلن نجد في تاريخ الآداب الإسلامية هجاء للملوك والمستعبدين أشد مما صدر عن الصوفية ، ولا ضيقاً بالمال وعباده والمستعبدين للناس عن طريقه كما نجد في أشعار الصوفية وأدبهم كله . إلى جانب ما قضوا به على الأثرة وحبّ الذات فيما صوروا ودعوا ، فالحب عندهم - يجب أن يتسع مجاله لحب الإنسان وخدمته والرتاء له وهدايته ، دون بغض لأحد أو انتقام من أحد . ولعل « الحلاج » - الذي عاش في القرن الثالث الهجري - أكثر من التصقت به هذه الإيجابية بين الصوفية ، وتتفق الروايات القديمة في سوقها لأخباره على الإشارة إلى دوره البارز في عصره حين دعا إلى مذهب سياسى وروحى يقوم على فقه معين ورياضيات صوفية تتميز كلها بالتطرف والشدة والإصرار على الوصول إلى الهدف مستهيناً بالعقبات ولو بلغت الموت نفسه ، وحاول أن يجد له أنصاراً بين الفقراء والطوائف المختلفة والمعارضين للدولة العباسية دون جدوى .

وفي أثناء القحط والمجاعة وخطر الدولة الفاطمية - على الدولة العباسية الموشكة على السقوط أمامها - وارتفاع الأسعار ، وكسر السجون وإحراق الجسور وسقوط الوزارة وعزل الخلفاء ، وجد الوزير حامد بن عباس أن قتل الحلاج قد يشغل الناس ويخفف من

التوتر الاجتماعي والسياسي ويلقى الرعب في قلوب المعارضين ،
وانتهى الأمر بالحكم على الحلاج بالإعدام ، ضرب ألف جلدة ثم قطعت
أطرافه الأربعة وضربت عنقه وأحرقت جثته ثم ذرى رماده في دجلة
وحمل رأسه إلى خراسان حيث كان له فيها أصحاب وأتباع
ومريدون^(١).

يقول الحلاج في وصف موعد حب :

لى حبيب أزور فى الخـلـوات

حاضر غائب عن اللحظات

ما تراتنى أصغى إليه بـسرى

كى أعى ما يقول من كلمات

كلماتٍ من غير شكلٍ ولا نقطٍ

ولا مثل نغمة الأصواتِ

فكأننى مخاطبٌ كنتَ إيكاه

على خاطرى ، بذاتى لذاتى

حاضرٌ غائبٌ قريبٌ بعيدٌ

وهو لم تحوهِ رسومُ الصفاتِ

هو أدنى من الضمير إلى الوهم

وأخفى من لائح الخطراتِ

ويقول الحلاج — وهو معنى انتهبه من بعده كثير من الشعراء ،

(١) ديوان الحلاج ، المقدمة ، تحقيق الدكتور / كامل مصطفى الشيبى (بغداد) .

وأداروه على محاور عدة في الغزل الحسنى ، بما يخرجهم عن طابعه
الصوفي الأصيل :-

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدننا
نحن ، مذكناً على عهد الهوى
نضربُ الأمثال للناس بنا
فإذا أبصرتني أبصرتَه
وإذا أبصرتَه أبصرتنا
أيها السائل عن قصتنا
لو ترانا لم تُفرق بيننا
روحه روحى وروحى روحه
من رأى روحين حلت بدننا

ومن الأشعار المنسوبة إلى الحلاج ، والعميقة الدلالة في الإيانة من
مذهبه وأسلوبه في تمثيل الحب الإلهى ، مقطوعة ذاعت شهرتها على
اللسنة والأقلام ونسب بعض أبياتها إلى شعراء آخرين من شعراء
العصر العباسى وأصبح جزءاً من تراثه الغنائى .

يقول فيها الحلاج :

والله ما طلعت شمس ولا غربت
إلا وحبك مقرونٌ بأنفاسى
ولا جلستُ إلى قوم أحدثهم
إلا وأنت حديثى بين جُلّاسى

ولا ذكرتُك محزوناً ولا فرحاً
وإلا وأنت بقلبي بينَ وسواسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش
إلا رأيت خيالاً منك في الكاس
ولو قدرت على الإتيان جئتكمو
سعيًا على الوجه أو مشيًا على الراس
ويا فتى الحى إن غنيت لى طرباً
فغنّ وارحمتاً من قلبك القاسي
ما لى وللناس كم يلحوننا سفهاً
دينى لنفسي ودين الناس للناس

ويبدو أن المستشرق الفرنسى ما سينيون هو صاحب الفضل في إحياء ذكر الحلاج منذ بداية القرن العشرين ، عندما نشر ديوانه وكتابه الهام الطواسين والنصوص التى دارت حوله ، ونبّه إلى أهمية الحلاج من خلال رسالته عنه التى أسماها « عذاب الحلاج » ومقاله الهام الذى أسماه « المنحنى الشخصى في حياة الحلاج » حيث تحدث عن عذباته ومواجهه وبثه لآراء الإصلاحية واتصاله ببعض وجوه الدولة العباسية وجمع الفقراء من حوله ، مما أدى إلى نهاية الحلاج المأساوية جزاء فكره وثوريته ، وهو المعنى نفسه الذى أخذ به الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور حين كتب مسرحيته الشعرية عن مأساة الحلاج ، جاعلاً منه داعية ورمزاً للثورة والتمرد ونصيراً للفقراء والمعدمين ، وشهيداً من شهداء الكلمة والإيمان بالحرية .

يقول صلاح عبد الصبور على لسان الحلاج :
أراد الله أن تجلى محاسنه وتستعلن أنواره
فأبدع من أثر القدرة العليا مثلاً صاغه طينا
وألقي بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وحلاه وزينه ، فكان صنيعة الإنسان
فنحن له كمرآة ، يطالع فوق صفحتها
جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا
فإن تصف قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن
إلى مرآتنا ، ويديم نظرتة ، فتحيينا
وإن تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا
ويهجونا ويجفونا
وماذا يفعل الإنسان إن جافاه موله ؟
يضيق الكون في عينيه ، يفقد ألفة الأشياء
تصير الشمس في عينيه أذرة من النيران
يلقى ثقلها المشاء
على وجه السما والأرض ألوانا من الذهب
ويضحى البدر دائرة مهشمة رمادية
من القصدير ميتة وملقاة على بيداء
فقد جفت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء
وتدوى أذرع الأشجار ، تلقى حملها للأرض
وتدفنه كمجھضة تكفن عارها في الطين

ويمشى القحطُ في الأسواقِ ، يجبى جزية الأنفاس
 من الأطفال والمرضى
 حقيبتَه بلا قاع ، فلا تُملأ إذ تعطى
 ورغبته بلا رى ، فلا تسكت أن تسأل
 وخلفَ القحطِ ، يمشى تحت ظلّ البيرق المُسدل
 جنودُ القحطِ ، جيشُ الشرِّ والنقمة
 خلائقهم مشوهة ، كَأَنَّ الذيلَ فوق الرأس
 يقود خطاهم إبليس وهو وزيرُ مُلكِ القحطِ
 وليس القتل والتدجيلُ والسَّرْقُ
 وليس خيانةُ الأصحاب والمَلَقُ
 وليس البطشُ والعدوانُ والخرقُ
 سوى بعض رعايا القحطِ ، جند وزيره إبليس
 تعالى الله ، قد يأنفُ أن ينظر في مرآتنا ذاته
 فيصرف وجهه عنا ،
 فكيف إذن نُصَفَى قُلُوبُنَا الْمُعْتَمُ
 ليستقبل وجه الله ، يستجلى جمالاته
 نُصَلَّى ، نقرأ القرآن ،
 نقصد بيته ، ونصوم في رمضان
 نعم ،
 لكن هذى أول الخطوات نحو الله
 خطى تصنعها الأبدان

وربى قصده للقلب
ولا يرضى بغير الحب
تأمل ، إن عشقت الست تبغى أن تكون شبيه محبوبك
فهذا حبنا لله
أليس الله نور الكون !
فكن نوراً كمثل الله
ليستجلى على مرآتنا حسنه

وحين يقف الحلاج بين يدي جلّاديه من قضاة عصره - الذين باعوا
ضمائرهم للسلطان وأعمتهم الغواية عن رؤية الحق ومعانيته
فأصدروا حكمهم من قبل أن تبدأ المحاكمة - يهدر صوت الحلاج في
مسرحية صلاح عبيد الصبور مُلوّحاً في وجه هؤلاء الذين يحاكمونه
بأنهم ليسوا قضائته ، ولذا فلن يدافع عن نفسه ضدّ اتهامه بإفساد
صعاليك العامة .

يقول الحلاج :

أنا رجلٌ من غمارِ الموالى ، فقير الأرومة والمنبتِ
فلا حسبي ينتمى للسماءِ ، ولا رفعتنى لها
ثروتى
ولست كآلافٍ من يولدون بآلاف أيامِ هذا الوجود
لأن فقيراً بذات مساءٍ سعى نحو حضنٍ فقيرة
وأطفاً فيه مرارةً أيامه القاسية
نموت كآلاف من يكبرون ، حين يفتاتون خُبزاً

الشموش
ويُسْقَوْنَ ماءَ المطرِ
وتلقا همو صبيبةً يافعين حزاني على الطُرقاتِ
الحزينة
فتعجب كيف نموا واستطالوا وشبت خطاهم
وهذي الحياةُ ضنيئةُ
تسكَّعت في طُرقاتِ الحياةِ ، دخلت سراديبها
المُوحشاتُ
حجبت بكفى لهيب الظهيرة في الفلوات
وأشعلت عيني ، دليلى ، أنيسى في الظلمات
وذوّبت عقلى ، وزيت المصابيح ، شمس النهار
على صفحات الكتب
لهثت وراء العلوم سنين ، ككلب يشم روائح صيد
فيتبعها ، ثم يحتال حتى ينال سبيلا إليها
فيركض ، ينقض
فلم يسعد العلم قلبى ، بل زادنى حيرة واجفة
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أنى وحيد ضئيل كقطرة طل ، كحبة
رمل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمى ما قادنى قط للمعرفة

وهبني عرفت تضاريس هذا الوجود
مدائنه ، وقراه ووديانه ، وذراه
وتاريخ أملاكه الأقدمين
وأثار أملاكه المحدثين
فكيف بعرفان سر الوجود ، ومقصده ، مبتدأ
أمره ، منتهاه
لكي يرفع الخوف عني ، خوف المنون ، وخوف
الحياة ، وخوف القدر
لكي أطمئن .
سألت الشيوخ ، فقيل :
تقرب إلى الله ، صل ليرفع عنك الضلال ، صل
لتسعد
وكنت نسيبت الصلاة ، فصليت لله رب المنون ،
ورب الحياة ، ورب القدر
وكان هواء المخافة يصفر في أعظمي ويثز كريح
الغلا
وأنا ساجد راکع أتعبد
فأدرکت أنني أعبد خوفي لا الله
كنت به مشركاً لا موحد
وكان إلهي خوفي
وصليت أطمع في جنته

ليختالَ في مُقلَّتِي خيالُ القصورِ ذواتِ القبابِ
أسمعُ وسوسةَ الحُلِي ، همسَ حريرِ الثيابِ
وأحسستُ أني أبيعُ صلاتي إلى الله
فلو أتقنتُ صنعةَ الصلواتِ لزادَ الثمنُ
وكنْتُ بهِ مشرِكًا لا مُوحِدُ
وكانَ إلهي الطمعُ
وجيرَ قلبي الطمعُ
تُرى ، قُدِّرَ الشُّركُ للكائناتِ
وإلا فكيفَ أصلى له وحده
وأُخلى فؤادي عما عداه
لكي أنزعَ الخُوفَ عن خاطري لكي أطمئن
لكي أطمئن

في هذه المونولوجات الطويلة على لسان الحلاج ، يتضح مدى
استيعاب صلاح عبد الصبور لأدق أسرار التجربة الصوفية ، عند كبار
العشاق والمحبين ، من نفى للقدرة على المعرفة بواسطة العقل ، فالقلب
هو المدخل والطريق ، ورفض لفكرة أن تكون العبادة قائمة على مجرد
الخوف أو الطمع ، حتى يكون أساسها المحبة والتوجه الخالص ،
والذوبان والفناء في المعشوق ، عندئذ ينتزع الخوف من المحب وتسكنه
الطمأنينة ويتحرر من الرغائب والشهوات . ويستمر صوت « الحلاج »
يفيض بالتحدى ويبتل بالمزيد من الشجون ، ويتبدى بلغة الإفضاء
ومكاشفة الأسرار :

كما يلتقى الشوق الصحارى العطاش ، بشوق
السحاب السخى
كذلك كان لقائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد ، قدس تربته ربه
وجمعنا الحب ، كنت أحب السؤال ، وكان يحب
النوال
ويعطى ، فيبتل صخر الفؤاد
ويعطى ، فيخضر غصنى
ويعطى ، فيزهر نطقى وظنى
ويخلع عنى ثيابى ، ويلبسنى خرقة العارفين
يقول هو الحب ، سر النجاة ، تعشق تفرز
وتفنى بذات حبيبك ، تصبح أنت المصلى ، وأنت
الصلاة وأنت الديانة والرب والمسجد
تعشقت حتى عشقت
تخيلت حتى رأيت
رأيت حبيبى ، وأتحفنى بكمال الجمال ، جمال
الكمال
فأتحفته بكمال المحبة
وأفنىت نفسى فيه

* * *

هذه السطور العامرة بنفحات الوجد وحرارة المعانة وفرح المعاينة والانكشاف هي دليل على امتداد خيوط التجربة الصوفية في العشق الإلهي حتى يومنا هذا ، وكيف أن التألق في التعبير عنها رهـن بتوافر الصدق الشعوري الذي يتوهج من خلال قيم التعبير ، لتكتمل لهذه التجربة أبعادها في الحس والتذوق وآثارها في القلب والوجدان .

ولسوف تستمر هذه الخيوط والروافد ، مستمرة وممتدة ، في رحلة الإنسان مع الكون ، ما بقي هذا الإنسان ، وما استمر انخـلاعه وانخطافه نحو المجهول ، واحتضانه لطمأنينة الإيمان واليقين ، وتوجهه بالمحبة الكاشفة التي تنفض عنه الخوف وتملأ زوايا نفسه بالخشوع ، وتفجر هذا الشعر الأصيل النبيل ، المتوهج بعطاء الرحلة ، المثقل بمخاطر الترحال .

فمادام المحبوب هو الحق ، فإن العارف يظل دائم المشاهدة له وكلما ازداد مشاهدة زاد هيأما ووجدافلاشتياق يهيج باللقاء ، ويُظمئه الوصال ، وتشعله المعاينة ، وكلما اجتمع العاشق بمحبوبه أدرك أنه لا يشبع من مشاهدته ولا يروى ظمأه منه ، فكلما نظر إليه زاد وجداً به وشوقاً مع حضوره معه .

ومن عجب أنى أحسن إليهمو
وأسأل شوقاً عنهمو وهمو معي
وتبكيهمو عيني وهم في سوادها
وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

تعاظمني ذنبي

للإمام الشافعي

« تعاظمني ذنبي ، فلما قرنته
بعفوك ربّي ، كان عفوك أعظماً
ومازلت ذا عفٍ عن الذنب ، لم تزل
تجود وتعفو منّة وتكرما »

« هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ، يتصل نسبه
بنسب الرسول الكريم ، ولد بغزة ، ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين ،
«وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ مِنْذُ صَبَاهُ فَجَالَسَ الْعُلَمَاءَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى
الإمام مالك في المدينة وحفظ الموطأ ، ثم ارتحل إلى اليمن فالعراق ينشر
علم الحديث وفقه السنة ويستخرج الأحكام ثم جاء إلى مصر سنة
مائة وتسع وتسعين هجرية ، وصنّف فيها مذهبه وألف في علم
الأصول ، واعترف له الناس بالإمامة وأصبح أحد الأئمة الأربعة
المجتهدين . وتوفي بمصر سنة مائتين وأربع هجرية عن أربع وخمسين
سنة » .

يقول الإمام الشافعي :

إليك إله الخلق أرفعُ رغبتى
وإن كنتُ يا ذا المن والجود مجرماً
ولما قسا قلبى وضّقتُ مذاهبى
جعلتُ الرجاء منى لعفوك سلماً
تعاظمنى ذنبى فلما قسرتك
بعفوك ربى كان عفوك أعظماً
ومازلتُ ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منى وتكرماً
ولولاك ما يقوى بإبليس عابداً
وكيف وقد أغوى صفيك آدماء
فإن تعف عني تعف عن متمرّد
ظلوم غشوم لا يزيّل مأتماً
وإن تنتقم منى فليستُ بآيس
ولو أدخلتُ نفسى بجُرمى جهنماً
فجرمى عظيم من قديم وحادث
وعفوك يأتى العبد أعلّى وأجسماً
تعاظمنى ذنبى ، فأقبلت خاشعاً
ولولا الرضا ما كنت يارب منعماً

حوالى فضلُ الله من كلِّ جانب
ونورٌ من الرحمن يفتشُ السَّما
وفي القلبِ إشراقُ المحبِّ بوصلِهِ
إذا قاربَ البشرى وجازَ إلى الحمى
حوالى إيناسٍ من الله وحُدَّةُ
يُطالعنى فى ظُلْمَةِ القلبِ أنجُما
أصون ودادى أن يدنِّسَهُ الهوى
وأحفظُ عهدَ الحبِّ أن يتئلَّما
ففى يقظتى شوقٌ وفى غفوتى مُنى
تلاحقَ خطوئى نشوةٌ وترنَّما
ومن يعتصم بالله يسلمُ من الورى
ومن يرجُّهُ هيهات أن يتندَّما
إليك إله الخلقِ ، أرفعُ رغبتى
وإن كنتُ ياذا المنِّ والوجودِ مجرما

هوانا حجازى

لأبى حمزة الخراسانى

أراك وبى من هيبتى لك وحشة
فَتُونَسْنى بِاللطفِ منك وبالعطفِ
وتُحيى مُحباً أنت فى الحب حتفه
ومن عجب كُونُ الحياة مع الحُتْفِ

« هو أبو حمزة الخراسانى من كبار أعلام القرن الثالث الهجرى ،
أقام بنيسابور وصاحب الجنيد والخراز وأبا تراب ، وذاعت له شهرة
واسعة بفضل علمه وورعه وتقاه ، توفى سنة مائتين وتسعين هجرية ،
وله قصائد تفيض بصدق العاطفة الدينية وسُمُو الحب الإلهى ، من
بينها هذه المقطوعة التى أنشدتها فى معنى الشهود والرضا بالحبيب » .

يقول أبو حمزة الخراساني :

أهابك أن أبدي إليك الذي أخفى
وسرّي بيدي ما يقول له طرقي
نهاني حيائي منك أن أكتُم الهوى
وأغنيّتي بالفهم منك عن الكشف
تلطّفت في أمري فأبديت شاهدي
إلى غائبتي واللطف يدرك باللفظ
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما
تبشّرني بالغيب أنك في الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة
فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف
وتحيى محباً أنت في الحب حتفه
ومن عجب كون الحياة مع الحثف
فيا شوق رفقا بالذى أنت مشعل
فلوعتك الحرى تجل عن الوصف
ويا قلب هذا موعد لتيّم
تفيض دموع العين منه ، ولا تكفى
ويا نفس هبت من رياض أحبتي
نسائم جادت حُفلاً من شذا العرف

تُراوحنَا رِيًّا الصَّبَا فِي هُبُوبِهَا
فَأَنْشَقُّ مِنْهَا مَا يُقْبَلُهُ طَرْفِي
هُوَ أَنَا حِجَازِي وَنَجْدٌ هِيَ الْمَنَى
وَإِصْبَاحُنَا الْمَأْمُولُ يَخْفَى وَلَا يُخْفَى
مُعْنَى وَمَا بَيْنَ الْأَضَالَعِ سَوْرَةٌ
غَوَائِلُهَا تَرْتَجُ فِي هَزَةِ الرَّجْفِ
وَمَاضٍ لَمَّا أَسْعَى إِلَيْهِ ، كَأَنَّنِي
أَسِيرٌ عَلَى ظِلِّي وَأَسْعَى إِلَى حَتَقِي
فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي أَعَيْنٌ مُسْتَهَامَةٌ
لَفَاضَتْ مَأْقِيهَا دَمًّا سَاخَنَ الْوُكُفِ
وَكَيْفَ أَهَابُ الزُّحْفَ أَوْ أَرْهَبُ السُّرَى
إِذَا كَانَ مِنْ أَهْوَاهِ مَوْلَايَ فِي الزُّحْفِ
أَمْوَلَايَ صَبْرَنِي عَلَى مَا أَصَابَنِي
فَأَنْتَ الَّذِي تَكْفِي وَأَنْتَ الَّذِي تُعْفَى
وَلَا تَجْعَلُنَّ حَبْلَ الْعَذَابِ مُخْلَدًا
وَلَا كَالَّذِي عَذِّبَتْ قَارُونَ بِالْخُسْفِ
وَهَا أَنَا أَخْفَى الدَّمْعِ وَالسَّرِّ بَيْنَ
بُؤْجَاهِي، وَتَأْبَى الْمُقْلَتَانِ سِوَى الذَّرْفِ

يُبَيِّن لِسَانِي عَنْ فِسْوَادِي وَرَبِّمَا
أَسْرَ لِسَانِي مَا يَبْجُحُ بِهِ طَرْفِي (١)

(١) هذا البيت والأبيات الثلاثة السابقة له تروى - مع اختلاف في السياق - للشاعر العباس بن
الاحنف .

غريب الدار

للبرعى

« إلهى أقلننى عثرتى ، وتولننى
بعفوى ، فإن النائبات لها عُنْفُ
خلعت عذارى ثم جئتكَ عامدا
بعذرى ، فإن لم تعف عني ، فمن يعفو »

« عاش الإمام عبد الرحيم البرعى فى القرن الخامس الهجرى ،
ويقال إنه أول من توله فى حب الرسول الكريم ، وشعره يدل على صدق
العاطفة فى الحب ، مع سهولة ورقة فى التعبير .
والبرعى يمنى الأصل ، حجّ عدة مرات ، وتوفى فى الطريق من مكة
إلى المدينة ودفن بوادى البرعى - وله ديوان مجموع مطبوع يضم
أشعاره فى الحب الإلهى والمدائح النبوية » .

يقول البرعى :

عسى من خفيّ اللطف سبحانه لطفُ
بعطفة برٍّ ، فالكريم له عطفُ
عسى من لطيف الصنع نظرة رحمة
إلى من جفاه الأهل والصحب والإلفُ
عسى فرجٌ يأتى به الله عاجلاً
يسرُّ به المهوفُ إذ غمسه اللهفُ
عسى لغريب الدار تدبير رافةٍ
وبرٍّ من البارئ إذا العيش لم يصفُ
عسى نفحةً فرديّة صمديّة
بها تنقضى الحاجات والشمل يلتفُ
فإنسى والشكوى إلى الله ، كالذى
رمى نفسه في لجة موجها يطفو
فمن محن الأيام قلبى معذبُ
ألم بروحى قبل حتفِ الفناء حتفُ
وإنسى لأرضى ما قضى الله لى ولو
عبدتُ على حرقٍ لأزوى بى الحرقُ
ولم أبئن حُسنَ الظنِّ فى سيدى على
شفا جُرفٍ هارٍ فينهار بى الجرفُ

ولكن دعوت الله يكشفُ كربتي
 فما كربية إلا ومنه لها كشفُ
 فكم بُسطت كفّ بسوء تريدي
 فقال لها الكافي ألا غلب الكفُ
 وكم هم صرفِ الدهر يصرفُ نابه
 على ، فجاء الغوثُ وانصرف الصرفُ
 ولم أعتصمُ بالله إلا ومسد لي
 من البرِّ ظلا في رضاه له وكفُ
 وإنسى المستغنى بفقرى وفاقتي
 إليه ، ومُستقو وإن كان بى ضعفُ
 وفي الغيب للعبد الضعيف لطائفُ
 بها جفت الأقلام وانطوت الصحفُ
 فكم راح روح الله في خلقه ، وكم
 غدا قبل أن يرتدّ للناظر الطرفُ
 بقدره من شدّ العرى وبنى السما
 طرائق فوق الأرض فهي لها سقفُ
 ومن نصب الكرسي والعرش ، واستوى
 على العرش والأملاك من حوله حفوا
 ومن بسط الأرضين فهي بلطفه
 لحى بنى الدنيا وميتهم ظرفُ

وألقى الجبال الشمَّ فيها رواسياً
 فليس لها من قبل موعدها نسفُ
 وألبسها من سندس النبت بهجةً
 من القطر ما صنف يشابهه صنفُ
 وسخر من نشر السحاب لسواقحاً
 إذا انتشرت درت سحائبها الوطفُ
 وأنشأ من ألفافها كلَّ جنة
 بها الأبُّ والريحانُ والحَبُّ والعصفُ
 ويعلم مسرى كلِّ سارٍ وسارٍ
 وما أعلنوه من خطايا وما أخفوا
 ويدري دبيب النمل في الليل إن سعتُ
 وإن وقفت ما أمكن السعى والوقفُ
 ووزن جبال كم مثاقيل ذرة
 وكيّل بحار لا يغيضها نزفُ
 وكم في غريب الملك والملكوت من
 عجائب لا يحصى لأيسرها وصفُ
 فسبحانه إن هم وهم لذاته
 بكف وتكليف يلجمه الكفُ
 ولم تُحط الستُّ الجهات بذاته
 فأين يكون الأين والقَبْلُ والخلفُ

إلهى أقلنسى عشرتى وتولنسى
 بعفو فإن النساتبات لها عنف
 خلعت عذارى ثم جئتكم عامدا
 بعذرى ، فإن لم تعف عني فمن يعفو
 وأنت غياثي عند كل ملية
 وكهفي إذا لم لي يبق بين الورى كهف
 فكم صاحب رافقته ليكون لي
 رفيقا ، فأضحى وهو بادی الجفا خلف
 وما شئت من قوم أعد صديقهم
 إذا استنصروا زالوا وإن وزنوا خفوا
 طباع ذئاب في ثياب جميلة
 بصائرهم عمى ، قلوبهمو غلف
 تلوح عليهم للنفاق دلائل
 وبالحك يبدو الزيف والذهب الصرف
 فحل سیدی ما عشت بينى وبينهم
 بحولك حتى يخضع الفرد والألف
 لأنك معروفي ومنك عوارفي
 إذا استنكر المعروف وانقطع العرف
 وأثبت بنور العلم والحلم منك لي
 سعادة حظ ما لمثبتها حذفت

وأيد بحرف الكاف والنون حُجَّتِي
ليسبق لي من كلِّ صالحٍ حرفُ
وأكرم لأجلي من يلينى وأعطينا
من النار أماناً يوم كلِّ له ضعفُ
وصلِّ على روح الحبيب محمدٍ
صلاةً علاها النور وانتشر العرفُ

نار ليلي

للشهرزورى

نارنا هذه ، تضىء لمن يسـ
رى بليلى ، لكنّها لا تنيل
هذه حالنا ، وما وصل العـ
م إلينا ، وكلُّ حالٍ تحولُ

« هو عبد الله بن القاسم الشهرزورى - نسبه إلى مدينة شهرزور في كردستان ، شاعر عالم وأديب فقيه ومحدث بارع حكيم . توفى سنة خمسمائة وإحدى عشرة هجرية ، وهو قليل الحظ من الشهرة بين الأدباء والمتأديبين وإن كان عظيم القدر بين عشاق المتصوفة في زمانه . وهو في قصيدته هذه يفسج على منوال غير مألوف عندما يستهلها بوصف ابتداء الرحلة ، رحلة البحث عن الحقيقة المطلقة ، عن معشوقته .. ليلاه ، ثم يصف أشواق الرحلة وما لاقاه من معاناة ومكابدة ، وصولاً إلى النار التى كان يظنها ستتيل ، حيث الظفر بالوصال ولقاء المحبوب » .

يقول الشهرزورى :

لَعْتُ نَارَهُمْ وَقَدْ عَسَعَسَ اللَّيْلُ
سَلٌ ، وَمَلَّ الْحَادَى ، وَحَارَ الدَّلِيلُ
فَتَأَمَّلْتُهَا وَفَكَّرْتُ مِنَ الْبَيْتِ
— مِنْ عَلِيلٍ وَلَحْظُ عَيْنِي كَلِيلُ
وَفُؤَادِي ذَاكَ الْفُؤَادُ الْمَعْنَى
وَعَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامُ الدَّخِيلُ
ثُمَّ قَبَّلْتُهَا وَقُلْتُ لَصَحْبِي
هَذِهِ النَّارُ لَيْلِي فَمِيلُوا
فَرَمُوا نَحْوَهَا لِجَازٍ صَحِيحٍ
تِ ، فَعَادَتْ خَوَاسِئًا وَهِيَ حَوْلُ
ثُمَّ مَالُوا إِلَى الْمَلَامِ وَقَالُوا
خُلِبَ مَا رَأَيْتُ أَمْ تَخْيِيلُ
فَتَجَنَّبْتَهُمْ وَمِلْتُ إِلَيْهَا
وَالْهَوَى مَرْكَبِي وَشَوْقِي الزَّمِيلُ
وَمَعَى صَاحِبٍ أَتَى يَقْتَفِي الْآ
ثَارَ وَالْحُبُّ شَأْنُهُ التَّطْفِيلُ
فَدَنُونَا مِنَ الطَّلُولِ ، فَحَالَتْ
زَفَرَاتٌ مِنْ دُونِهَا وَعَوِيلُ
قُلْتُ : مَنْ بِالْأُيُوسِ ؟ قَالَتْ : جَرِيحُ
وَأَسِيرٌ مُكْبَلٌ ، وَقَتِيلُ

مالذى جئْتْ تبتغى ؟ قلت : ضيفُ
 جاء يبغي القرى ، فأين النزولُ
 فأشارتْ بالرحبِ دونك فاعقرُ
 ها فما عندنا لضيف رحيلُ
 من أتاننالقى عصا السير عنه
 قلت : من لى بذا ؟ وكيف السبيلُ
 فحططنا إلى منازل قوم
 صرعتهم قبْلَ المذاق الشمولُ
 ومن القوم من يشير إلى وجـ
 سد تبقى عليه منه القليلُ
 قلت : أهل الهوى سلامٌ عليكم
 لى فؤادٌ عنكم بكم مشغولُ
 لم يزل حافز من الشوق يحدو
 بى إليكم وألحاثات تحولُ
 جئتُ كى أصطلى ، فهل لى إلى نا
 ركموهذه ، الغداة سبيلُ
 فأجابت شواهد الحال عنهم
 كل حذٌّ من دونها مفلولُ
 نازنا هذه ، تضىء لمن يسـ
 رى بليلى ، لكنها لا تُنيلُ
 هذه حالنا ، وما وصل العلب
 سم إلينا ، وكل حال تحولُ

قه دلالاً

لابن الفارض

كلُّ من في حماك يهواك ، لكن
أنسا وحدي بكل من في حماكا
يُحشر العاشقون تحت لوائى
وجميع الملاح تحت لَواكا

« هو إمام المحبين وسلطان العاشقين أبو حفص عمر بن الفارض ولد في القاهرة سنة خمسمائة وست وسبعين هجرية لأسرة شامية الأصل تنتسب إلى مدينة حماة ، ونشأ نشأة دينية في كنف والده ابن الفارض الذى كان أحد كبار علماء الدين في زمانه ، وأتيح له أن يدرس الفقه والحديث وأن يتردد على مجالس العلم ، وأن يدرس طريق الصوفية متنقلاً في سياحته الروحية بين وادى المستضعفين في جبل المقطم وأودية مكة التى قضى بها خمسة عشر عاماً عاد بعدها إلى مصر مفعماً بالأشواق والوجد والهيام حيث كانت وفاته سنة ستمائة واثنين وثلاثين هجرية .

وقد اشتهر شعره لامتلأه بالمعانى الصوفية الرمزية ، ولقوة ما تميز به من أداء وتعبير ، وعاطفة حارة متوهجة ، وخيال مطلق .

يقول ابن الفارض :

تَه دَلَالًا فَأَنْتَ أَهْلٌ لِّذَاكَ
وَتَحَكُّمٌ فَالْحَسَنُ قَدْ أُعْطَاكَ
وَلَكَ الْأَمْرُ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ
فَعَلَى الْجَمَالِ قَدْ وَلَّكَ
وَتَلَا فِي إِنْ كَانَ فِيهِ اثْتِلَا فِي
بِكَ ، عَجَّلْ بِهِ جُعِلَتْ فِدَاكَ
وَبِمَا شِئْتَ فِي هَوَاكَ اخْتَبَرْنِي
فَاخْتَبَارِي مَا كَانَ فِيهِ رِضَاكَ
فَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَنْتَ مِنِّْي
بِئْسَ أَوْلَى ، إِذْ لَمْ أَكُنْ لَوْلَاكَ
وَكَفَانِي عِزًّا بِحُبِّكَ ذُلِّي
وَخُضُوعِي ، وَلَسْتُ مِنْ أَكْفَاكَ
وَإِذَا مَا إِلَيْكَ بِالْوَصْلِ عَزَّتْ
نَسَبَتِي عِزَّةً وَصَحَّ وَلَاكَ
فَاتَهَامِي بِالْحُبِّ حُسْبِي ، وَإِنِّي
بَيْنَ قَوْمِي أَعَدُّ مِنْ قَتْلَاكَ
لَكَ فِي الْحَيِّ هَالِكٌ بِكَ حَيٌّ
فِي سَبِيلِ الْهَوَى اسْتَلْذُ الْهَلَاكَ
عَبْدُ رَقٍّ مَارِقٌ يَوْمًا لِعَتَقِ
لَوْ تَخَلَّيْتُ عَنْهُ مَا خَلَّيْتُ

بجمالِ حُبَّتْهُ ، بِجِلالِ
 هَامَ واستَعَذَّبَ الغَذَابَ هناكا
 وإذا ما أُمِنُّ الرجا منه أدنا
 كَ ، فَعَنهُ خَوْفُ الحِجَى أقصاكا
 فبإقدامِ رغبةٍ حينَ يغشا
 كَ ، بإحجامِ رهبةٍ يخشاكا
 ذابَ قلبى فأذنُ له يتمنا
 كَ ، وفيه بقيةُ لرجاكا
 أومر الغمُّضُ أن يَمُرَّ بجفونى
 فكاننى به مُطيعًا عصاكا
 فعسى فى المنام يعرضُ لى الوهـ
 مٌ ، فيؤجى سراً إلى سُراكا
 وإذا لم تُنعش بِروحِ التمنى
 رمقى ، واقتضى فنائى بقاكا
 وحمت سُنَّةَ الهوى سُنَّةَ الغمِّ
 ض جفونى ، وحرمت لُقيَاكا
 أبقي لى مقلَّةً لعلِّى يوماً
 قبل موتى أرى بها من رآكا
 أين منى ما رمت هيهات ، بل أيا
 من لعينى بالجفن لثمُّ ثراكا

فَبَشِّرْ لَوْ جَاءَ مِنْكَ بِعُطْفٍ
 وَوَجُودِي فِي قَبْضَتِي ، قُلْتُ هَاكَا
 قَدْ كَفَى مَا أَرَى دَمَا مِنْ جُفُونِ
 بِكَ قَرْحِي ، فَهَلْ جَرَى مَا كَفَاكَ
 فَاجِرٍ مِنْ قِيْلَاكَ فِيكَ مُعْنَى
 قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الْهُوَى يَهْوَاكَ
 هَبْكَ أَنْ الْإِلَاحِي نَهَاةً بِجَهْلٍ
 عَنْكَ قُلْ لِي عَنْ وَصْلِهِ مَنْ نَهَاكَ
 وَإِلَى عِشْقِيكَ الْجَمَالَ دَعَاةُ
 فَيَالِي هَجْرُهُ تَرَى مِنْ دَعَاكَ
 أَتَرَى مَنْ أَفْتَاكَ بِالْصِدْقِ عَنِّي
 وَلَغَيْرِي بِالْوَدِّ مَنْ أَفْتَاكَ
 بَانْكَسَارِي بِذَلَّتِي بِخُضُوعِي
 بِأَفْتَقَارِي بِفَاقَتِي بِغِنَاكَ
 لَا تَكْنِي إِلَى قَسْوَى جَلْدِ خَا
 نَ ، فَإِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ضَعْفَاكَ
 كُنْتُ تَجْفُو وَكَانَ لِي بَعْضُ صَبْرٍ
 أَحْسَنَ اللَّهِ فِي اصْطِبَارِي عَزَاكَ
 كَمْ صَدُودًا عَسَاكَ تَرْحِمُ شَكْوَا
 ي ، وَلَوْ بِاسْتِمَاعِ قَوْلِي عَسَاكَ

شَنَّعَ الْمُرْجَفُونَ عَنْكَ بِهِجْرِي
 وَأَشَاعُوا أَنَّي سَلَوْتُ هَوَاكَ
 مَا بِأَحْشَاءِهِمْ عَشَقْتُ فَأَسْلَوُ
 عَنْكَ يَوْمًا ، دَعِ يَهْجُرُوا ، حَاشَاكَ
 كَيْفَ أَسْلَوُ وَمَقَلْتَنِي كُلَّمَا لَا
 حَ بِرِيْقٍ تَلَفَّتْ لِلْقَاكَ
 إِنْ تَنَسَّمْتُ تَحْتَ ضَوْءٍ لَثَامِ
 أَوْ تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ مِنْ أَنْبَاكَ
 طِبْتُ نَفْسًا إِذْ لَاحَ صُبْحُ ثَنَايَا
 لَكَ لَعَيْنِي ، وَفَاحَ طِيبُ شَذَاكَ
 كُلُّ مَنْ فِي جِمَاكَ يَهْوَاكَ ، لَكِنْ
 أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ فِي حَمَاكَ
 فَيْكَ مَعْنَى حَلَاكَ فِي عَيْنِ عَقْلِي
 وَبِهِ نَظَرِي مُعْنَى حِيَاكَ
 فَقَدْ أَهْلَ الْجَمَالِ حُسْنًا وَحُسْنِي
 فِيهِمْ فَاقَّةٌ إِلَى مَعْنَاكَ
 يُحْشِرُ الْعَاشِقُونَ تَحْتَ لَوَائِي
 وَجَمِيعَ الْمَلَاحِ تَحْتَ لَوَاكَ
 مَا ثَنَانِي عَنْكَ الضَّنَى فَبِمَاذَا
 يَا مَلِيحَ السَّدَالِ عَنِّي ثَنَاكَ

لك قربٌ منّي ببعْدك عنّي
 وحنو وجدتهُ في جفاكا
 علم الشوق مقلتي سهر اللّيل
 بل ، فصارتُ من غير نوم تراكا
 حبّذا ليلّةٌ بها صيدتُ أسرا
 لك ، وكان السُّهادُ لي أشراكا
 نساب بسدر التمام طيِّفَ مُحيا
 لك لطرقي ، بيقظتي إذ حكاكا
 فترأيت في سـواك لعين
 بك قرئت وما رأيت سواكا
 وكذلك الخليلُ قلب قبلي
 طرّفه حين راقبَ الأفلاكا
 فالدياجي لنا بك الآن غرّ
 حيث أهديت لي هُدى من ثناكا
 ومتى غبتَ ظاهراً عن عياني
 أُلْفِيهِ نحو بـاطني ألفاكا
 أهل بدرٍ ركبٌ سريّت بليّل
 فيه بل سار في نهار ضياكا
 واقتباسُ الأنوار من ظاهري غي
 ر عجب وبـاطني مأواكا

يُغْبَقُ الْمَسْكُ حَيْثَمَا ذُكِرَ اسْمِي
مَنْذُ نَادَيْتَنِي أَقْبَلُ فَاكَا
وَيُضَوِّعُ الْغَبِيرُ فِي كُلِّ نَادٍ
وَهُوَ ذِكْرٌ مُعَبَّرٌ عَنْ شَذَاكََا
قَالَ لِي حَسَنُ كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى
بِي تَمَلَّى فَقُلْتُ قَصْدِي وَرَاكََا
لِي حَبِيبٌ أَرَاكَ فِيهِ مَعْنَى
غُرٍّ غَيْرِي وَفِيهِ مَعْنَى أَرَاكََا
إِنْ تَوَلَّى عَلَى النَّفْسِ تَوَلَّى
أَوْ تَجَلَّى يَسْتَعْبِذُ النَّسَاكََا
فِيهِ عَوَّضَتْ عَنْ هُدَايَ ضَلَالًا
وَرَشَادِي غِيَا وَسَتْرِي انْهَتَاكََا
وَحَدَّ الْقَلْبُ حُبَّهُ فَالْتَفَاتَنِي
لَكَ شِرْكٌ وَلَا أَرَى الْإِشْرَاكََا
يَا أَخَا الْعَذْلِ فِي مَنْ الْحَسَنُ مَثَلِي
هَامٌ وَجَدًا بِهِ عَدِمْتُ أَخَاكََا
لَوْ رَأَيْتَ الَّذِي سَبَّانِي فِيهِ
مَنْ جَمَالٍ وَلَنْ تَرَاهُ سَبَاكََا
وَمَتَى لَاحَ لِي اغْتَفَرْتُ سُهَادِي
وَلَعَيْنِي قُلْتُ هَذَا بِذَاكََا

مريضة الأجفان

لابن عربي

بأبى طقلةً لعوبٌ تهادى
من بناتِ الخدور بين الغوانى
طلعت في العيان شمساً ، فلما
أفلت أشرق بأفق جنانى

هو محيى الدين بن عربى ، الحاتمى الطائى الأندلسى . ولد
بمرسية إحدى بلاد الأندلس سنة خمسمائة وستين هجرية ، وانتقل
إلى إشبيلية فى الثامنة من عمره ، فقرأ بها العلوم على مشاهير زمانه ثم
سافر إلى مصر ودمشق وبغداد ، وجاور فى مكة ، وأقام فى بلاد الروم
طلباً للعلم والسياسة ، وتوفى بالشام عن ستة وسبعين عاماً ، ودفن فى
مسجد يحمل اسمه فى سفح جبل قاسيون بعد حياة حافلة جلبت عليه
الكثير من الأنصار والأعداء .

وقد ترك ابن عربى مؤلفات كثيرة أشهرها « الفتوحات المكية » الذى
يعدُّ واحداً من أمهات كتب التصوف الإسلامية ، وديوان شعره
« ترجمان الأشواق » الذى يمتلئ بقصائد فى الغزل يرمز بها إلى المعانى
الروحية والدلالات الصوفية .

يقول ابن عربى :

مرضى من مريضة الأجفان
عللانى بذكرها ، عللانى
هفت الورق بالرياض وناحت
شجوة هذا الحمام مما شجانى
بأبى طفلة لعوب تهادى
من بنات الخدور بين الغوانى
طلعت فى العيان شمسًا ، فلما
أفلت أشرق بآفاق جنانى
يا طلولا برامة دارسات
كم رأيت من كواعب وحسان
بأبى ثم بى غزال ربيب
يرتعى بين أضلعي فى أمان
ما عليه من نارها فهى نور
هكذا النور مضمّد النيران
يا خليل عرجا بعيانى
لأرى رسم دارها بعيانى
فإذا ما بلغت الدار حطبا
وبها صاحبى ، قلت بكيانى

وقفنا بى على الطلول قليلاً
 نتباكى ، بل أبك مما دهانى
 الهوى راشقى بغير سهام
 الهوى قاتلى بغير سنان
 عرفانى إذا بكيتُ لديها
 تُسعدانى على البكا تُسعدانى
 واذكرا لى حديث هند ولبنى
 وسليمة وزينب وعنان
 ثم زيدا من حاجر وزرود
 خبراً عن مراتع الغزلان
 واندبانى بشعر قيس وليلى
 وبمى ، والمبتلى غيلان
 طال شوقى لطفلة ذات نثر
 ونظام ومنبر وبيان
 من بنات الملوك من دار فرس
 من أجل البلاد من أصبهان
 هى بنت العراق بنت إمامى
 وأنا ضدها سليل يمانى
 هل رايتم يا سادتى أو سمعتم
 أن ضديئاً قط يجتمعان

لو ترانا برامة نتعاطى
 أكوساً للهوى بغير بَنانٍ
 والهوى بيننا يسوقُ حديثاً
 طيباً مطرباً بغير لسانٍ
 لرأيتُم ما يذهبُ العقلُ فيه
 يمينٌ والعراقُ معتقانِ
 كذبُ الشاعر الذى قال قبلِ
 وبأحجارِ عقله قد رمانى :
 « أيها المنكح الثرياً سُهيلاً
 عَمُرَكَ اللهُ كيف يلتقيان
 هى شاميةٌ إذا ما استهلَّتْ
 وسُهيلٌ إذا استهلَّ يمانى^(١)



General Organization of the Alexandria Library & Documentation
 Bibliotheca Alexandrina

(١) هذان البيتان منسوبان للشاعر عمر بن أبى ربيعة .

رَبَّةُ السَّيْرِ

للإمام الصرصري

سيرى فأنوار أقمار المحامل إن
حار الأدلة في البيداء تهديك
فَتَحَتِ بِالرَّشْدِ عَن عَيْنِي بَعْدَ عَمَى
وَأَسْمَعَ السَّرَّ مِنْ قَلْبِي مَنَادِيكَ

« هو الإمام العالم جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف
الصرصري العراقي ، كان ضريفاً ، ولكنه كان تقياً ورعاً وأديباً بارعاً
وله ديوان شعري كبير أكثره مدائح في الرسول الكريم ، مات على أيدي
القتار - عند سقوط بغداد - سنة ستمائة وست وخمسين هجرية » .

يقول الإمام الصرصري :

ياربّة السّتر لا انجابت غواديك
عن جوّ مغناك أو يخضر واديك
وأنت يا عذبات البان ، لا برحت
تهيجُ أشواقنا الحانُ شاديك
وماس من كلّ عُصن منك من طرب
عطفت وتهدت دلالاً في تهديك
ويامياه الحمى لازلت طيبة
يُروى بشرّب الزّلال العذب صاديك
ويا نسيم صبا نجد لقد عرفت
روحي بمسراك وهناً عرف مهاديك
وياالينا لله عيش هوى
مع البدور تقضى في دأديك
وياقوارط أيامى بخيف منى
لو كان يُقدى زمان كنت أفديك
ويا رسائل وجد لا أبوح بها
إلى الأحبة عندي من يؤدّيك
أخفيك عن عذلى صوناً وتكرمة
بل المدامع والأنفاس تُبديك

ويا ركاب الحجاز القُودَ ، لانقبتُ
 من السَّرى أبداً أخفأفُ أيديكِ
 ولا عدلتِ عن النهجِ القويمِ ، ولا
 مالتِ إلى غير أحبَّابى هواديكِ
 ونلتِ ما شئتِ من وردٍ ومن كلالٍ
 ولا نبا السمعُ عن تغريدِ حاديكِ
 كمُ ذا التَّمادى، ذرى التَّعليلِ وابتدرى
 إلى الحمى ، فعنَّائى فى تماديسكِ
 سبرى فأنوار أقمار المحامل إن
 حار الأدلةُ فى البيداء تهديكِ
 ويا قبابَ حمى سَلِّحْ حويَّتِ على
 رقىِّ بما أسلفتِ عندى أياديكِ
 فتحتِ بالرشيدِ عن عينيَّ بعد عمى
 وأسمعَ السر من قلبى مُناديكِ
 حقُّ على أوالى من به اعتلقتُ
 أسبابه وأُعادى من يُعاديكِ
 إنى وإن تكُ أضحت عنك نازحةً
 دارى لأرعى بظَهْرِ الغيبِ واديكِ
 لأزال سُكانك القُطَّانُ فى دعةٍ
 وفاز رائحكِ السَّارى وغاديكِ

وَأَنْتَ لَا تَجْزَعِي يَا نَفْسُ مِنْ بَدْعِ
مُضِلَّةٍ وَضِيَاءُ اللَّهِ هَادِيكَ
أَجَارَكَ اللَّهُ لَسَوْلا دَرْعُ سُنَّتِهِ
لَكَانَ سَهْمُ الْهَوَى الْفِتَاكَ يُرْدِيكَ

وارحمنا للعاشقين

للسهروردي

« لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى
كتمانهم ، فنما الغرامُ ، فباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها
لما دروا أن السماح ريساخُ »

« هو شهاب الدين عمر السهروردي ، ولد في سهرورد وقرأ كتب الدين والحكمة وأقام في مراغة وبغداد وحلب ، حيث كان مقتله بأمر السلطان صلاح الدين بعد أن نسب البعض إليه فساد المعتقد ، ولتوهم صلاح الدين أن السهروردي يفتن ابنه بالكفر والخروج على الدين - وكان مقتله بقلعة حلب سنة ستمائة وخمس وستين هجرية - مع أنه كان من كبار المتصوفة في زمانه ومن أفقه علماء عصره بأمور الدين والفلسفة والمنطق والحكمة ، ويسمى مذهببه الذي عرف به «حكمة الإشراق» .

ويروون أنه قال وهو يجود بأنفاسه الأخيرة :

قل لأصحابي رأوني ميتا
 فبكُونِي إِذْ رَأَوْنِي حَزَنًا
 لَا تَظُنُّونَنِي بِأَنِّي مَيِّتٌ
 لَيْسَ ذَا الْمَيِّتِ وَاللَّهُ أَنَا
 أَنَا عَصْفُورٌ وَهَذَا قَفْصِي
 طُفِرْتُ عَنْهُ فَتَحَلَّى رَهْنًا
 فَاخْلَعُوا الْأَنْفُسَ عَنْ أَجْسَادِهَا
 فَتَرَوْنَ الْحَقَّ حَقًّا بَيْنَنَا
 لَا تَرْعَكُمُ سَكْرَةُ الْمَوْتِ فَمَا
 هِيَ إِلَّا بِأَنْتَقَالَ مِنْ هُنَا

يقول السهروردي :

أَبَدًا تَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَرْوَاحُ
وَوَصَالَكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ
وإِلَى بَهَاءِ جَمَالِكُمْ تَسْرَتُحُ (١)
وَارْحَمْتُمَا لِلْعَاشِقِينَ تَحَمَّلُوا
ثَقُلَ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى فُضَّاحُ
أَهْلُ الْهَوَى قَسَمَانِ : قَسَمَ مِنْهُمُو
كَتَمُوا ، وَقَسَمَ بِالْمَحَبَّةِ بَاخُوا
فَالْبَائِثُونَ بِسِرِّهِمْ شَرِبُوا الْهَوَى
صِرْفًا فَهَزَمُوا الْغَرَامَ فَبَاخُوا
وَالكَاتِمُونَ لِسِرِّهِمْ شَرِبُوا الْهَوَى
مَمْزُوجَةً فَحَمَتُهُمُو الْأَقْدَاحُ
بِالسِّرِّ إِنْ بَاخُوا تَبَاحَ دِمَاؤُهُمْ
وَكَيْذَا دِمَاءُ الْبَائِثِينَ تُبَاحُ
وَإِذَا هُمُو كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمْ
عِنْدَ الْوُشَاةِ الْمَدْمَعُ السُّفَاحُ

(١) في رواية أخرى للبيت : وإلى لذيد لغائكم تترتاح .

وبدت شواهد السقام عليهمو
 فيها لمشكل أمرهم إيضاح
 خُفض الجَنَاحُ لكم ، وليس عليكمو
 للصبِّ في خُفضِ الجَنَاحِ جُنَاحُ
 فإلى لقاكم نفسهُ مرتاحة
 وإلى رضاكم طرفهُ طماح
 عودوا لنور الوصل من غَسَقِ الدُّجَى
 فالهجر ليلاً والوصول صَبَاحُ
 صافاهمو فصفوا له ، فقلوبهم
 في نورها المشكاة والمصباح
 وتمتعوا فالوقت طاب بقربكم
 راق الشراب وراقبت الأقداح
 يا صاح ليس على المحب ملامة
 إن لاح في أفق الصبح صَبَاحُ
 لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى
 كتمانهم ، فنما الغرامُ ، فباحوا
 سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها
 لما دروا أن السَّماحَ ربُّـسـماحُ
 ودعاهمو داعي الحقائق دعوة
 فغَدُوا بها مستأنسين وراحوا

ركبوا على سفن الوفا ، ودموعهم
بحر ، وشدة شوقهم ملاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابه
حتى دعوا ، وأتاهم المفتاح
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم
أبداً ، فكل زمانهم أفرح
حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم
فتهتكوا لما رأوه وصاحوا
أفناهم عنهم وقد كشفت لهم
حجب البقا فتلاشت الأرواح
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

ويضيف الصوفية إلى قصيدة السهروردي أبياتاً أخرى كثيرة ،
من بينها مقطوعة نظمت على غرار القصيدة الأصلية ، وحملت طابعها
في التعبير وطريققتها في بناء الصور الشعرية والدوران حول قاموسها
المختار من الكلمات والإشارات :

أيامنا بلقائكم أفرح
وجميع أيام الملاح ملاح
قل للمحب إذا تهتك في الهوى
إن التهتك في الغرام مباح

واخلُصْ عِذَارَكَ لَا تُبَالِ بِعِذَاذِلِ
وَاطْرِبْ وَغْنٌ فَمَا عَلَيْكَ جُنَاحُ
أَهْلُ الْمَحَبَّةِ حِينَ طَابَ شَرَابُهُمْ
بَاعُوا النُّفُوسَ لِحُبِّهِمْ وَارْتَا حُوا
شَرَبُوا كُؤُوسَ الْحُبِّ فِي حَانَ الصِّفَا
فَتَمَايَلَسَتْ سَكْرًا بِهَا الْأَرْوَاحُ
بِالْانْكَسَارِ تَحَمَّلُوا فِي حَبَّةِ
فَبَدَا عَلَيْهِمْ مِنْ رِضَاةِ سَمَاحُ
خَلَعَ الْحَبِيبُ عَلَيْهِمْ خَلَعَ الرِّضَا
وَأَنَالَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ الْفَتَا حُ
مَلَأَ الْحَبِيبُ قُلُوبَهُمْ مِنْ نَوْرِهِ
فَشَذَّاهُمُ مِنْ عَطَرِهِ فَوَاحُ
تَحِيَّ الْحَبِيبُ بِذِكْرِهِمْ وَبَنُورِهِمْ
وَتَزُولُ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْأَتْرَاحُ
كُلُّ الْقُلُوبِ لَهُمْ تَحْنٌ تَشْوِقَا
وَتُحِبُّهُمْ ، وَيُحِبُّهُمْ تَرْتَا حُ
فَتَشْبَهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ
إِنْ التَّشْبِيهُ بِالْكَرَامِ فَفَلاحُ

إلهى يا سميع

لأحمد البدوى

« إلهى ثوب جسمى دنستهُ
ذنوبٌ جملها أبداً ثقیلُ
إلهى جـد بعفوك لى فـإنى
على الأبواب منكسر ذلیلُ »

« هو أبو العباس أحمد البدوى القرشى ، كان مولده بمدينة فاس بالمغرب ، هاجر مع والده وأهله إلى مكة حيث تعلم القرآن والعلوم الشرعية ، ثم حببت إليه الخلوة والوحدة فاعتزل الناس وظهرت عليه دلائل البركة والولاية ، ثم هاجر إلى العراق حيث لقي من شيوخها وعلمائها الترحيب ، ثم جاء إلى مصر في عصر الظاهر بيبرس الذى استقبله أروع استقبال بعد أن طبقت شهرته الآفاق لعلمه وصلاحه وتقواه ونزل في مدينة طنطا حيث كانت وفاته سنة ستمائة وخمس وسبعين هجرية زاهداً متعقفاً ورعاً ، وفقياً من فقهاء المذهب الشافعى وأعلامه . »

يقول أحمد البدوي :

إلهي أنت للاحسان أهل
ومنك الجود والفضل الجزيل
إلهي بات قلبي في هموم
وحالي لا يسرُّ به خليل
إلهي تسبُّ وجُد وارحم عبيدًا
من الأوزار مدمعة يسيل
إلهي ثوب جسمي دنسته
ذنوب حملها أبدًا ثقیل
إلهي جُد بعفوك لي فإنسي
على الأبواب منكسرٌ ذليل
إلهي حُفني باللطف يا من
له الغفران والفيض الجزيل
إلهي خانتني جِلدي وصبري
وجاء الشيب واقترب السرحيل
إلهي داوَنسي بدواء عفو
به يشفي فؤادي والغليل
إلهي ذاب قلبي من ذنوبي
ومن فعِّل القبيح أنا القَتيل

إلهى رَدَّنْسى بِرْدَاءِ أَنْسى
 وَأَلْبَسْنِى الْمَهَابَةَ يَا جَلِيلُ
 إلهى زَحْزَحِ الْأَسْوَءَ عَنى
 وَكُنْ لى نَاصِرًا نَعْمَ الْكَفِيلُ
 إلهى سِيدى ، سَنَدى وَجَاهى
 فَمَا لى غَيْرَ عَفْوَكَ لى مَقِيلُ
 إلهى شَتَّتَتْ جَيْشَ اصْطَبَارى
 هَمُومٌ شَرَحُّهَا أَبَدًا يَطْوُلُ
 إلهى صرْتُ مَنْ وَجَدى أَنْادى
 أَنَا الْعَاصِى الْمُسِىءُ ، أَنَا الذَّالِيلُ
 إلهى ضَاعَ عَمْرِى فى غُرُورِ
 وَفى لَهْوَ وَفى لَعِبٍ يَطْوُلُ
 إلهى طَالَمَا أَنْعَمْتُ مِنْكَ
 بِجُودٍ مِنْكَ فَضْلًا يَسْتَطِيلُ
 إلهى ظَاهِرًا أَدْعُوكَ رَبِّى
 كَذَلِكَ بَاطِنًا أَنْتَ الْجَلِيلُ
 إلهى عَافْنِى مِنْ كُلِّ دَاءٍ
 بِجَاهِ مُحَمَّدٍ نَعْمَ الْخَلِيلُ
 إلهى غَافِرِ السَّزَلَاتِ يَا مَنْ
 تَعَالَى ، مَا لَهُ أَبَدًا مَثِيلُ

إلهي فإز من ناداك ربّي
 أتساه الخير حقاً والقبول
 إلهي قلت ادعوني أجبكُم
 فهناك العبدُ يدعُو يا وكيلُ
 إلهي كيف حالي يسوم حشر
 إذا ما ضاق بالعاصي مقيلاً
 إلهي لا إله سواك ربّي
 تعالي ، لا تُمثلهُ العقولُ
 إلهي مسني ضرّاً ضحي
 به جسمي يُباليه النحول
 إلهي نجني من كل كرب
 ويسّر لي أمورِي يَا كفيلاً
 إلهي هذه الأوقات تمضي
 بأعمار لنا ، وبها تزولُ
 إلهي والنسي خيراً ، وأحسنُ
 ختامِي عندما يأتِي الرسولُ
 إلهي يَا سميعُ أجِبْ دعائي
 بطله من تسير له الحمُولُ
 فصلّ عليه ربّي كل وقت
 صلاة لا تحول ولا تزولُ
 وآلِ والصحاب ذوى المعالي
 وفي طي الكلام هُمو الفحولُ

سقاني محبوبى

لإبراهيم الدسوقي

« شهدت وشاهدنا وطابت نفوسنا
وقد لذي ذلي إليه وخشيتي
أحسن على ذل وأهوى على هدى
وأسرى على علم لأنوار طلعة »

« هو إبراهيم بن أبى المجد بن قريش زين العابدين ، ينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ولد سنة ستمائة وثلاث هجرية ، وتفقه على مذهب الإمام الشافعى ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وصار من أقطابهم ، ومازالت طريقه عامرة بالصالحين يقتفون آثاره فى مجاهدة النفس وصدق التودد إلى الله وذكره وحسن عبادته ، توفى سنة ستمائة وست وسبعين هجرية عن ثلاثة وأربعين عاما ومسجده بمدينة دسوق عامر بزواره حتى اليوم » .

يقول إبراهيم الدسوقي :

سَقَانِيْ مَحْبُوْبِيْ بِكَأْسِ الْمَحَبَّةِ
فَتَهَتْ عَنِ الْعِشَاقِ سَكْرًا بِخُلُوْتِيْ
وَلَا حَ لَنَا نُوْرَ الْجَلَالَةِ لِسَوَاضَا
لِصُّمِّ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ لِدُكَّتِ
وَكُنْتُ أَنَا السَّاقِيْ لِمَنْ كَانَ حَاضِرًا
أَطْوَفُ عَلَيْهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَةٍ
وَنَادَمْنِيْ سِرًّا بِسِرٍّ وَحِكْمَةٍ
وَأَنْ رَّسُولَ اللَّهِ شَيْخِيْ وَقُدُوْتِيْ
وَعَاهَدْنِيْ عَهْدًا حَفِظْتُ لِعَهْدِهِ
وَعِشْتُ وَثِيْقًا صَادِقًا بِمَحَبَّتِيْ
وَحَكَّمْنِيْ فِي سَائِرِ الْأَرْضِ كُلِّهَا
وَفِي الْجَنِّ وَالْأَشْبَاحِ وَالْمَرْدِيَّةِ
وَفِي أَرْضِ صِيْنِ الصِّيْنِ وَالشَّرْقِ كُلِّهَا
لَأَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ صَحَّتْ وَلَايَتِيْ
أَنَا الْحَرْفُ لَا أَقْرَأُ لِكُلِّ مُنَاطِرٍ
وَكُلُّ الْوَرَى مِنْ أَمْرِ رَبِّيْ رَعِيَّتِيْ
وَكَمْ عَالَمٍ قَدْ جَاءَنَا وَهُوَ مِنْكَرٌ
فَصَارَ بِفَضْلِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ خِرْقَتِيْ

وما قلتُ هذا القول فخرًا وإنما
أتى الإذن كى لا يجهلون طريقتي
غنيت عن الدنيا بفيض عطائه
وأنى عطاياهم يدانى عطيتى ؟
وصرت على بُعد المسافات واصلاً
لأدنى دنو فى ارتفاعى لغايتي
فوجه الحبيب الحق مشرق وجهتى
ونور الحبيب الحق ساطع قبلتى
وفى القلب أشواق يترجم فيضها
عن الألق السامى إلى قدس حضرة
شهدت وشاهدنا ، وطابت نفوسنا
وقد لذلى ذلى إليه وخشيتى
أحن على ذل ، وأهوى على هدى
وأسرى على علم لأنوار طلعة
رضيت به حتى دخلت ريكاضه
فأنعم بها من روضة أى روضة
ومما لذة العشاق إلا يقينهم
بشميل جميع بعد طول تشتت
وأغسل قلبى من سواك ، ولم أجد
لنفسى إلا نور ذاتك بغيتى
تعاليت بالعطف الكريم ، رعاية
فباركت زلاتى وأمنت روعتى

فطرة النفس

لأبى العباس المرسى

« والنفسُ بين نزولٍ في عوالمها
كأَدمَ ولَه حواءُ في قَرَنِ
والروحُ بين ترقُّ في معارجها
وهى الموافقُ للتعريفِ والمنينِ »

« هو الإمام العارف بالله شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر الخزرجى الأنصارى المرسى البلنسى ، ولد في مرسية من مقاطعة بلنسية بالأندلس سنة ستمائة وست عشرة هجرية ، ونسب إليها قسمى المرسى ، وفد مع شيخه أبى الحسن الشاذلى إلى مصر سنة ستمائة واثنين وأربعين هجرية وأقاما بالاسكندرية وأخذ أبو العباس يلقى الدروس ويعلم مبادئ السلوك وتطبيب النفوس في جامع العطارين ، وذاعت شهرته - بعد موت شيخه الشاذلى - وتلقى العلم على يديه وصاحبه كثير من علماء عصره كالبوصيرى وياقوت العرش والسكندرى وابن دقيق العيد والعز بن عبد السلام والحافظ المنذرى - وتوفي سنة ستمائة وخمس وثمانين هجرية . »

يقول أبو العباس المرسى :

إن كنت سائلنا عن خالص المن
وعن تآلف ذات النفس بالبدن
وعن تشبثها بالحظّ منذ ألفت
أدراؤها فغدت تشكو من العطن
وعن بواعثها بالطبع مائلة
تهوى بشهوتها في ظلمة الشجن
وعن حقيقتها في أصل معيذنها
لا ينتنى وصفها منها إلى وثن
وعن تنزلها في حكمها ولها
علم يفرقها في القبح والحسن
فاسمع هديت علومًا عز سالكها
على البيان ولا يغرك ذو لسن
قصداً إلى الحق لا تخفى شواهدُها
قامت حقائقها بالأصل والفن
يا سائل عن علوم ليس يُدرَكها
ذو فكرة بفهوم لا ولا فطن
لكن بنور على جامع خمدت
له العقول وكلُّ الخلق في وسن

خُذْهَا إِلَيْكَ بِحَقِّ لَسْتِ جَاهِلَةٌ
وَالْأَمْرُ مُطْلَعٌ وَالْحَقُّ قَيْدَنِي
عَلَى الْحَقِيقَةِ خُذْ عِلْمَ الْأُمُورِ وَلَا
تُحْجِبْكَ صُورَتُهَا فِي عَالَمِ الْوُطْنِ
فَفُطْرَةُ النَّفْسِ سِرٌّ لَا يُحِيطُ بِهِ
عَقْلٌ تَقِيدُ بِالْأَوْهَامِ وَالْإِدْرِي
لَكِنَّا بَرَزْتُ بِالْحُكْمِ قَائِمَةٌ
حَتَّى تَأْلَفَهَا السَّكَّانُ بِالسَّكَنِ
وَكَيْ يُقَالَ عَبِيدٌ قَائِمُونَ بِمَا
أَلْقَى مِنَ الْأَمْرِ قَبْلَ الْخَلْقِ وَالْمَحْنِ
وَالنَّفْسُ بَيْنَ نَزْوِلٍ فِي عَوَالِمِهَا
كَأَدَمٍ وَلَهُ حَوَاءٌ فِي قَسْرِنِ
وَالرُّوحُ بَيْنَ تَرْقُّ فِي مَعَارِجِهَا
وَهِيَ الْمَوَافِقُ لِلتَّعْرِيفِ وَالْمَنْسَنِ
مِنْ الْحِجَابِ دَنَتْ أَنْوَارُهَا قَبْدَتْ
نُورًا تَنْزِلُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْدَّمَنِ
مِثَالِهَا فِي الْعُلَا مِرَاةٌ مَعْدِنِهَا
الطَّافُهَا خَفِيَّةٌ كَالسَّرِّ فِي الْعَلَنِ
زَيْتُونَةٌ زَيْتُهَا نُورٌ لِصَاحِبِهَا
قَامَتْ حَقَائِقُهَا بِالْأَصْلِ وَالْقُنَنِ

ونار دعوتها ماءً لشاربها
مُدَّت هدايتها في الكون والكُـبْنِ
والكلُّ أنت بمعنَى لاخفاء به
والنور يحجبه كالماء في اللُّبِنِ
والعبد محتجبٌ في عزِّ مالِكِه
دقت معارفه في الدهر والزمنِ

ظهرت لكل الكون

لابن عطاء الله السكندري

« ظهرت لكل الكون ، فالكونُ مظهرٌ
وفيه له أيضا كما جاءت الصحفُ
فأئى فؤادٍ عن ودادك ينثنى
وأية عينٍ بعد قربك لن تغفو »

« هو تاج الدين أبو العباس أحمد بن عطاء الله من أهل العلم في التفسير والحديث والنحو والفقه والأصول ، صاحب أبا العباس المرسى وأخذ عنه ثم استوطن القاهرة وكان له كرسي في الأزهر يجلس عليه ليشرح علوم القوم وآثار السلف ، توفى بالمدرسة المنصورية في القاهرة سنة سبعمئة وتسع هجرية ، ومن أشهر آثاره مجموعة الحكم التى نظمها والتى تفيض بالرمزيات وتهيبها الشراح لأنها فى رأيهم تشتمل على الأسرار المصونة والجواهر المكنونة ، بالإضافة إلى آثاره الشعرية التى تدل على موهبة أصيلة وبيان محكم » .

يقول ابن عطاء الله السكندري :

وكلّ محتاج ، وأنت لك الغنى
ومثلى من يُخطئ ، ومثلك من يعفو
وأنت الذى أبدى الوداد تكرماً
ومثلك من يرعى ، ومثلى من يجفو
وما طاب عيش لم تكن فيه واصلاً
ولم يصف ، لا والله ، أنى له يصفو
عزمتُ على أن أترك الكون كله
واقفو سبيل الحب ، والمُجتبى يقفو
شهود كمو يجلو الحجاب لأنه
إذا حقّق التحقيق صار هو الكشف
وما أحسن الأحاب في كلّ حالة
فالله ما يُبدوا والله ما يخفوا
وإن الأولى لم يشهدوك بمشهد
قلوبهم عن نيل سر الهوى غلف
وأنت الذى أظهرت ثم ظهرت في
جميع المبادي مثماً شهد العرف
ظهرت لكلّ الكون، فالكون مُظهر
وفيه له أيضاً كما جاءت الصحف
فأى فؤاد عن فؤادك ينثنى
وأية عين بعد قربك لن تغفو

وأية نفسٍ لم يملها هواكمو
على حُبِّكم طُرًّا ، نفوسُ الورى وقفُ
ويقول ابن عطاء الله السكندري في وصف الطريق وشرح أحوال
سالكيه والنصح لمن يريد رشاد الهداية :

أيا صاحِ هذا الركبُ قد سار مُسرِعًا
ونحنُ قعودُ ، ما الذى أنت صانعُ
أترضى بأن تبقى المُخلفُ بعدهم
صريع الأمانى ، والغرام ينازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرًا
بأن جميع الكائنات قواطعُ
وأن لا يرى وجه السبيل سوى امرى
رمى بالسوى لم تختدعه المطامعُ
ومن أبصر الأشياء والحق قبلها
فغيب مصنوعًا بمن هو صانعُ
بسواده أنوار لمن كان ذاهبًا
وتحقيق أسرار لمن هو راجعُ
فقم وانظر الأكوان والنور عمها
ففجر التدانى نحوك اليوم طالعُ
وكن عبده ألُق القيادة لحكمه
وإياك تدبيرًا فما هو نافعُ

أَتَحْكُم تَدْبِيرًا وَغَيْرُكَ حَاكِمٌ
أَأَنْتَ لِأَحْكَامِ الْإِلَهِ تُنَازِعُ ؟
فَمَحِّصُوا إِرَادَاتِ وَكُلُّ مَشِئَةٍ
هُوَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى فَهَلْ أَنْتَ سَامِعٌ
كَذَلِكَ سَارَ الْأَوَّلُونَ فَادْرِكُوا
عَلَى إِثْرِهِمْ فَلَيْسَ مِنْهُوَ تَابِعٌ
عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْبِكَ مَنْ كَانَ طَالِبًا
وَمَا لَمْ يَسْتُمْ مِمَّنْ يُحِبُّ لَوَامِعُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْبِكَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
أَيَذْهَبُ وَقْتُ وَهُوَ بِاللَّهُوَ ضَائِعٌ

سُكْرُ المحبة

لابن أرقم النميري الأندلسي

« فما بالهم سُكْرُ المحبةِ أنكروا
ولا شربوا من خمرٍ وجدانها صرفا
يريدون إدراك المعانى حقيقَةً
وهل يجدُ التحقيق من لم يُجدُ وصفًا »

« هو أبو محمد عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري الأندلسي من أهل وادي آش ، يكنى أبا عامر ، يقول عنه لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة (الجزء الثالث) :
« كان أحد شيوخ بلدي وطلبته ، مشاركًا في فنون من فقه وأدب وعربية وهي أغلب الفنون عليه ، وكان مطرح السمت ، مخشوشن الزى ، قليل المبالاة بنفسه ، مختصرًا في كافة شؤنه ، وكان بيته معمورًا بالعلماء أولى الأصالة والتعين ، وقد تصدر ببلده الفتيا والتدريس والاستماع ، وكانت وفاته ببلده سنة أربعين وسبعمائة هجرية » .

يقول ابن أرقم النميري الأندلسي :
 تعالوا تُعاطيها مُقدَّسةً صرفاً
 فنرشفُها في بسْطِ روض الهدى رشفاً
 أنار بها الأكوان نوراً فأشرقَت
 ومن قَبْلِ موجوداتها وُجِدَت لُطفاً
 شربنا بأكوابِ الصفاء صفاءها
 قللِ ما أُحِلَّ هواها وما أُصْفى
 وغَبِنا عن الإحساسِ من طيبِ سُكرها
 فلاحَ لنا في الكون ما لم يكنْ يخفى
 ولما تجلَّى الحسَنُ في حُجُبِ قُدْسِهِ
 حُجِبنا فلم نُبصرْ جواباً ولا سُجفاً
 ورُحنا بروض الأنسِ نجنى ثماره
 ونقطف بالإخلاص أزهارها قطفاً
 وبُحنا بِسِرِّ الحبِّ في مجلسِ الهوى
 ولم نخشْ إذ بُحنا بِسِرِّ الهوى حتفاً
 ونحن أناس ليس ينكرُ أمرُنا
 عرَفنا وعرفنا المعارفُ والعُرُفا
 فما بالهم سكرَ المحبةِ أنكروا
 ولا شربوا من خمر وجدانها صرفاً

يريدون إدراك المعانى حقيقه
وهل يجد التحقيق من لم يجد وصفا
ومما الحق إلا ظاهراً في وجوده
وأسراره في شرح آياته تلقى
فلو قصدوا المقصود بالصدق شاهدوا
مصائبهم أنوار تنزه أن تطفأ
ولو أخلصوا في ذاته وصلوا به
إليه ، ونالوا عنده أجر من وفى
ولو لحوا معنى الحاسن صيغة
لما وصفوا قرطاً ، ولا ذكروا شفا
ألا أيها الساقى ظمئنا فسقنا
بالطافها يشفى من الجهل ما يشفى
وعاود ففي الأكواب منها بقية
بها العيش يستحلى ، بها الأنس يستوفى
ومما طيبها إلا بلطف مديرها
بحيث منادى الرشيد نبيه من أغفى
أمولاي يا مولاي دعوة مبعيد
على الهلك من تسويف رحلته أشفى
بعثت ودادى واشتياقى وسيلة
وإنسى في باب الرجاء باسط كفاً
وإن ذنوبى كالجبال رجاحة
وحبك يا مولاي ينسفها نسفا

الملجأ الأحمى

لابن الجيآب الأندلسى

« محبته شرطُ القبولِ ، فمن خلستُ
صحيفته منها ، فقد زاعَ واشتطأَ
به الحقُّ وضَّاحٌ ، به الإفكُ زاهقٌ
به الفوزُ مرجوٌ ، به الذنبُ قد حُطأُ »

« هو أبو الحسن علي بن الجيآب الأنصارى الأندلسى ، من أهل
غرناطة جاء فى ترجمته فى كتاب الإحاطة فى أخبار غرناطة (الجزء
الأول) :

« شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ ، كان على ما كان عليه من التقنن
والإمامة فى البلاغة والأخذ بإطراف الطلب والاستيلاء على غاية الأدب ،
صاحب مجاهدة وملازمة عبادة ، على طريقة مثلى فى الاستقامة
والنزاهة وإيثار النقشف ، محب لأهل الخير والصلاح .. وهو شيخ
طلبة الأندلس دراية وتحقيقاً ومشاركةً فى كثير العلوم ، توفى سنة تسع
وأربعين وسبعمائة هجرية » .

يقول ابن الجيّاب الأندلسي :

أهزلاً وقد جدّت بك اللّمة الشّمطا
وأمنساً ، وقد سادرتها حيّة رقّطا
أغرّك طول العُمر في غير طائل
وسرك أن الموت في سيره أبطل
رويداً فإن الموت أسرع وأفد
على عُمرِكَ الفاني ركائبه خطا
فإذ ذاك لا تستطيع إدراك ما مضى
بحال ، ولا قبضاً تطيق ولا بسطا
تأهب فقد وأفأك سيّيك مُنذراً
وها هو في فؤديك أحرفه خطا
فرافقت منه كاتب السر وأشيأ
له العليم الأعلى ، يخط به خطا
معمى كتاب فكّه احذر ، فهذه
سفينة هذا العُمر قارب الشطا
وقد طالما خاضت بك اللّجج التي
خبطت بها في كلّ مهلكة خبطا
وما زلت في أمواجهها متقلّبا
فأونّة رفعا ، وأونّة خطا
فقد أوشكت تلقيك في قفر حفرة
يُشدّ عليك الجانبان بها ضغطا

ولسنت على علم بما أنت بعندها
مُلاقٍ ، أرضواناً من الله أم سُخطا
وأعجبُ شيء منك دعواكَ في النهي
وهذا الهوى المردى على العقل قد غطى
قسطت عن الحق المبين جهالة
وقد غالطتك النفس ، فادعت القسطا
وطاوعت شيطاناً تجيب إذا دعا
وتقبل إن أغوى وتأخذ إن أعطى
تناءى عن الأخرى ، وقد حان حينها
تداني من الدنيا ، وقد أزمعت سُخطا
وتمنحها حُباً ، وفرط صبابه
وما منحت إلا القتادة والخمطا
فها أنت تهوى وصلها وهى فارك
وتأمل قريباً من حماها وقد شطأ
صراط هدى نكبت عنه عمايه
ودار ردى خالفت في حُبها الشرطا
فما لك إلا السيد الشافع الذى
له فضل جاه كلما يرتضى نُعطى
دليل إلى الرحمن ، فسانهج سبيله
فمن حاد عن نهج السبيل فقد أخطا

محبته شرطُ القبولِ فمن خَلَّتْ
 صِحيفتهُ منها فقد زاعَ واشتطأَ
 وما قُبِلَتْ منه لدى الله قُرْبَةً
 ولا زكَّتْ الأعمالُ بل حَبِطَتْ حَبِطاً
 به الحقُّ وضاحٌ ، به الإفكُ زاهقٌ
 به الفوزُ مرجوٌ ، به الذنبُ قد حُطَّ
 هو الملجأُ الأحمى ، هو الموثلُ السدى
 به في غدٍ يستشفعُ المذنبُ الخطأُ^(١)
 لقد ما زججتُ رُوحِي محبته التى
 بقلبي خُطَّتْ قبل أن أعرفَ الخطأَ

(١) أى الخطاء (الكثير ارتكاب الخطايا) .

سلمى

اليافعى

« فياليلةً فيها السعادات والمنى
لقد صغرت في جنبها ليلة القدرِ
فلما شربنا الراح في ساحة الرضا
أتانا أغرُّ السعد بالخلع الخضرِ »

« هو عفيف الدين عبد الله اليافعى ، ولد في اليمن ودرس الفقه وعلوم القرآن ومال إلى التصوف ، فارتحل إلى القدس ودمشق والحجاز ومصر وأخذ العلم عن أعلام علماء عصره حتى صار مشهوراً له بالفضل والمنزلة ، له مؤلفات مشهورة في التصوف ، أهمها: « روض الرياحين في مناقب الصالحين » الذى يضم سير خمسمائة من أولياء الصوفية ، « ونشر المحاسن الغالية في فضل أصحاب المقامات العالية » وفيه يشرح اليافعى الأحوال والمقامات بأسلوب أدبى جميل ، كما دون فيه أكثر ما نظمه من قصائد في الحب الإلهى والترانيم الصوفية .

توفى سنة سبعمائة وثمانى وستين هجرية .

يقول الياقعي :

سلا عن حمى سلمى، وعن أهله الغرُّ
عسى خبرٌ يلقاكما ، طيبٌ الذكرِ
يجيءُ به من نحوها عذبٌ منطق
يفوح به من ريحها طيبٌ النشِرِ
يُخبر عن سلمى وعن ذلك الحمى
وقول لسان الحال في نظمه الدرّى
رعى الله عهداً مرّاً مع جيرة الحمى
هنا في رياضٍ زاهراتٍ به زهرِ
سقتنا بها سلمى من الراح عندما
بدت فاضياء الكون من جانب الخدرِ
أما طلت حجاباً عن بهاء جمالها
فهمنا سكارى في المهامة والقفرِ
نرومُ التسلى عن هواها يبعُدنا
وكلُّ جمالٍ في الوجود بها يغرى
خليلٌ ما سلمى ونجدٌ وما الحمى
وما راحها ، ما كأسها ، ما الهوى العذرى
شربنا حمياً الكأس في قدسِ حضرة
وأكرم بها في حضرة القدّس من خمرِ
لنا عُصرت من كرم نورِ جمالٍ من
سقانا ، وقد غبنا وحرنا فما ندرى

سكـرنا بها من شـمها قبل شـربها
نشـاوى بـريـاًها إلى آخـر الدهـر
أو السـكر ذا من رـؤية الكأس ، أو أنت
به رـؤية السـاقى إلينا ذوى السـكر
تجلـى بأوصاف الجمال فشاهدت
عيون قلوب ما به حار ذو الفـكر
فياليلة فيها السـعادات والمنى
لقد صغرـت في جنبها ليلة القـدر
فلما شربنا السـراح في ساحة الرضا
أتانا أغـر السـعد بالخلع الخـضر
رسول عنايات برسم ولاية
وتصريفنا في الملك في البر والبحـر
وضاءت لنا أنوار غيب وشوهدت
أمـور وأعلمنا بها أنها تجرى
وحلـت بوادى طور قلب معارف
زهت فيه كم حسناء في داخل الخـدر
وكم حكم تجلى مـلاح ، كأنها
عـرائس أبكار على منطق الدر
وكم يدفع الله البلايا بسادة
من الخلق في كشف الشدائد والضـر
فمن لم يـذا يؤمن ، فقولوا له إذا
تجـراً على الغـر المشايخ بالنـكر

تجلى فضولاً في فضائل سادة
لهم في سما مجد المفاخر كم قصر
مقامات أحباب ترى الشهب دونها
بنوها بياقوت المواهب والدر
تضيء الدياجي من بهاء جمالها
بما يهتدى من للعلا نحوها يسرى
وما تلك من أشباه عشك ، فادرجي
إلى جوف عش في الغيابات أو جحر

المنبهجة

لمصطفى البكري

« مولاي أتيتُك منكسراً
وبغيرك شسوقى لم يهيج
هل غير جنابك يقصد ، لا
وجمالك ذى الحُسن البهيج »

« ولد في دمشق سنة ألف وتسع وتسعين هجرية ، حيث تعلم العلوم الدينية ثم انتسب إلى الطريقة الخلوتية وأخذ عن مشايخها وأقطابها ، ونذر نفسه للزهد والتقوى والتزود للأخرة ، ثم هاجر إلى مصر ونشر فيها الطريقة الخلوتية - التى ما يزال لها أشياع ومريدون حتى اليوم - حيث توفى سنة ألف ومائة واثنتين وستين هجرية ، بعد أن ترك آثاراً شعرية وأورادا وابتهالات صوفية كثيرة من بينها هذه القصيدة التى سميت بالمنبهجة ويقرأها جميع مريديه يومياً قبل صلاة الفجر » .

يقول مصطفى البكرى :

قم نحو حماه وابتهج
وعلى ذاك المخيما فعمج
ودع الأكسوان وقم غسقا
واصدق فى الشوق وفى اللهج
والزم باب الأستاذ تفز
وتكون بذلك خل نجى
واخرج عن كل هوى أبدا
ودع التليفيق مسع الهج
إياك أخى ترافق من
لم ينهك عن طرق العوج
اقنع وازهد واتركه كذا
ك باب سواه لا تلج
وادخل للحن خليل وميل
نحو الخمار أبى السرج
واشرب واطرب لا تخش سؤى
إياك تمل عن ذى النهج
كم أنت كذا ، لم تصح ، أفق
وإلى الأبواب فقم ولج

مـولاي أتيتك منكسراً
 وبغيرك شوقى لم يهـج
 وأتيتُ إليك خلياً من
 صومى وصلاتى مع حجى
 وكذا علمى وكذا عملى
 وكذاك دليلى مع حجى
 لا أملك شيئاً غير الدَّمِ
 مع مخافة أن يغشى وهجى
 هل غير جنابك يقصدُ، لا
 وجمالك ذى الحسنِ البهـج
 من يقصد غيرك فهو إذا
 بظلام البعد تراه فجى
 من أنت تُضلُّ فذاك من الـ
 هلاكِ ومن تهـدى فنـجى
 ودموعُ العين تُسابقنى
 من خوفك تجرى كاللـجى
 يا عاذلَ قلبى ويكُ فدعْ
 عذلى واقصر عني ذا الحرج
 كم تعذلى لم تعذرنى
 دعنى فى البسطِ وفى الفرج

أَذْنَسِي لِحَبِيبِي صَاغِيَةً
صُمَمْتُ عِنْدَ الْوَاشِي السَّمِجِ
يَا صَاحِبَ حَانَ الْخَمْرِ أَدْرُ
صَرْفًا وَاتَّركَ لِلْمَمْتَزِجِ
وَأَدْرُ كَأْسَ الْأَسْرَارِ وَدَعْمُ
نِ أَصِيرُ بِهِ مِنْ ذِي الْهَمِجِ
مَوْلَايَ بِسَرِّ الْجَمْعِ كَذَا
كَ وَجَمْعِ الْجَمْعِ وَكُلُّ شَجِي
بِالذَّاتِ بِسَرِّ السَّرِّ ، بِمَنْ
إِفْضَالِكَ رَبِّي مِنْكَ رُجِي
بِحَقِيقَتِكَ الْعَظْمَى رَبِّي
وَبِنُورِ النُّورِ الْمُنْبَلِجِ
بِعَمَاءٍ كُنْتُ بِهِ أَزَلًا
بِمُحَمَّدٍ مِنْ جَا بِالْبَلِجِ
وَبِسَرِّ الْقُرْبِ كَذَاكَ الْحَدِّ
سَبِّ ، وَأَهْلَ الْجَذْبِ الْمُتَعَرِّجِ
وَبِمَا أَوْجَدْتُ مِنْ الْأَكْوَا
نِ يَمَا فِيهِنَّ مِنْ الْأَرَجِ
وَبِأَهْلِ الْحَيِّ وَبِهَجْتِهِمْ
وَبِبَحْرِ الْقُدْرَةِ وَالْمَرَجِ

وبطبيب الوصل لذتته
 ببساط الأنس المنسج
 وبقلب في بلواك غدا
 وحياتك ليس بمنزعج
 بتجلى الليل وعالمه
 وظلام الكون كما السبج
 بمنازل أفلاك وكذا
 بمطالعها ثم البرج
 بالآل ، بصحب ، من بهمو
 كل الخيرات إلينا تجي
 يسر وأجر كسرى ، برضا
 ليكون بوصلك مبتهجي
 واخضع خلع الرضوان على
 صب في حبك حب هج
 وامنع قلبي نفحاتك يا
 مولاي وعجل بالفرج
 واحسرة قلبي إن لم تمح
 خطايا الذنب من الدرج
 واغفر يارب لناظمها
 وله رقي على الدرج

واسمُحْ للسَّامِعِ ما نُشَدَّتْ
 قِمْ نَحْوَ حِمَاةٍ وَابْتَهِجِ
 أَوْ مَا جَاءَ سَحَرًا يَحْدُو
 الشَّيْطَانُ أَوْدَتْ بِالسَّامِعِ
 وَصَلَاةُ اللَّهِ عَلَى الْهَادِي
 وَسَلَامٌ يُهْدِي فِي الْجِجِ
 لِحَمْدِنَا وَلِأَحْمَدِنَا
 مَا فَاحَ أَقْبَاحُ فِي الْمَرْجِ
 مَا مَالُ مُحِبِّ يَهْوَاهُ
 أَوْ سَارَ الرِّكْبُ عَلَى السُّرُجِ
 أَوْ مَا دَاعٍ يَدْعُو الْمَوْلَى
 يَرْجُو لِلنَّصْرِ مَعَ الْفَرْجِ

مالى سواك

لأحمد الحلوانى

« أستغفرُ الله مما قد قلتُهُ وهو زورُ
ومن تناسٍ بناسٍ ، عمن هو المذكورُ »

« هو الشيخ العلامة أبو عبد الرحيم أحمد بن إسماعيل الحلوانى
الخليجى الشافعى ، ولد سنة ألف ومائتين وتسع وأربعين هجرية فى
بلدة رأس الخليج من أعمال محافظة الغربية، وحفظ القرآن ثم أتقن
علوم الدين واللغة ، ثم ارتحل إلى طنطا لتحصيل المزيد من العلم حتى
انتهى به الأمر إلى الأزهر الشريف حيث تتلمذ على صفوة الأعلام من
علمائه كالقصبى والباجورى والخضرى والشبراوى . توفى سنة ألف
وثلاثمائة وثمانى هجرية بعد أن ترك وراءه عدة مصنفات دينية
والكثير من الأشعار والأنكار الصوفية »^(١).

(١) السمو الروحى فى الأدب الصوفى تأليف أحمد عيد المنعم عبد السلام الحلوانى.

يقول أحمد الحلواني :

أستغفر الله ربّي
مما جناهُ جنائي
أو الجوارح منّي
أو ظاهرٌ ليس يخفى
أستغفرُ الله مما
ومن تناسّ بناسٍ
ومن خلافاً أمور
أستغفرُ الله ممّا
من كلّ أمرٍ معيبٍ
لم يَرْضَ ربّي وقلبي
إن سرتُ يوماً إليه
وعند أولِ جزءٍ
وإن توخيتُ خيراً
وإن تهملتُ يوماً
وللتقدم أنسوى
هبنى تقدّمتُ ، ماذا
وهبته غيرَ نفورٍ
عدمته من فؤادٍ
أنسوى فيذهبُ لبيّ
أظللُ أحسبُ فيها

فأله ربّ غفورٌ
أو اللسانُ العثورُ
فإنها قد تثورُ
أو باطنٌ مستورٌ
قد قلّته وهو زورُ
عمّن هو المذكورُ
أنا بها مأمورُ
جرى به المقدورُ
قد كنتُ فيه أمورُ
بكسبسه مسرورُ
أطير حين أسيرُ
منه يجيء الأخيرُ
صرفاً فكم أستخيرُ
إليه جاء الفتورُ
فيعرض التأخيرُ
يُجدي وقلبي نفورُ
هل فيه ثم حضورُ
عند الصلاة يطيرُ
وفي السلام يحورُ
وما تحتويه الدهورُ

كَأَنَّنِي بِحَسَابِي
فَلَوْ تَرَانِي فِيهَا
فَفِي الْعِبَادَةِ طَرَفِي
وَفِي الذُّنُوبِ فَوَادِي
يَا وَيْلَنَا مَنْ ذُنُوبُ
وَمَنْ خُطَايَا اللُّوَاتِي
وَأَهْ مِنْ كَسَلٍ إِثْمٍ
وَمَنْ مَقْصِدٍ سَوْءٍ
شَيْءٌ وَمَنْ لَسْتُ أَدْرِي؟
قَبَائِحُ كُنْتُ فِيهَا
مَاتْتُ وَعَاشْتُ، فَقَلْبِي
سُرَرْتُ مِنْهَا زَمَانًا
نَسِيتُهَا وَدَعَايَا
مَاذَا أَقُولُ لِرَبِّي
يَا رَبِّ أَنْتَ رَحِيمٌ
يَا رَبِّ أَنْتَ عَفُوٌّ
يَا رَبِّ أَنْتَ هَفِيءٌ
وَشَأْنُ مَنْ يَهْلُ يَغْفِي
وَأَمِنْ ثَوْبٍ خَسِيسٍ
وَمَا أُرِيدُ احْتِجَاجًا
أَجْرُ عِبِيدِكَ يَا مَنْ

مُؤَكْسَلٌ أَوْ أَجِيرٌ
لَقُلْتُ : ذَا مَبْهُورٌ
وَلَوْ بِصِيرٍ ضَرِيرٌ
عَلَى عَمَاهُ بِصِيرٌ
فُجُورُهَا مَفْجُورٌ
إِلَى الْخُطْسَى تَسْقُطِيرٌ
عَلَيْهِ يُطَوَّى الضَّمِيرُ
جَسْرِي بِهِ التَّعْبِيرُ
فَذَاكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ
أَسْرِي وَطُورًا أَسِيرٌ
مَنْ أَجْلَهَا مَقْطُورٌ
وَعَمَّهَا مَسْخُورٌ
كَتَابِي الْمَسْطُورُ
إِذَا بَدَأَ الْقَهْرِيضُ
وَبِالسَّمَاكِ جَسْدِيضُ
وَأَنْتَ رَبُّ قَسْدِيضُ
جَسْدًا وَأَنْتَ الْكَبِيرُ
إِذَا أَسَسَاءَ الْحَقِيرُ
مَنْ رَبُّهُ يَمَّا مُجِيرُ
عَلَيْكَ بِسَلِ اسْتَجِيرُ
سِوَاهُ لَيْسَ يُجِيرُ

وهل سواك نصيرُ	مالي سواك أغثنى
بـدرُ السماء المنيرُ	ولي إليك شفيعُ
إذا السماء تمورُ	غوثُ الأنام المرجى
كشرى ، فإنى كسيرُ	به توسلتُ فاجبر
ما فاض منه النورُ	واسكب عليه التحايا

تعشقت نور الله

للشيخ على عقل

وهل غير ذات الله للنفس مطلب
حرام سوى الرحمن يدخل في نفسى
وما اتخذت روحى سوى الله غايةً
فتسم الهدى للروح والقلب والحس

« هو الشيخ على عقل أحد علماء العصر في التصوف والعلوم الشرعية ، ولد سنة ألف وثمانمائة وأربع وتسعين ميلادية ، وكف بصره بعد مولده ، فوهبه والده للقرآن والدين منذ صغره ، ودرس في الأزهر الشريف ، ثم تقلبت به مجالس الذكر والإنشاد حتى صار علماً يتعشقه المريدون ، توفى سنة ألف وتسعمائة وثمانى وأربعين بعد أن ترك ديواناً شعرياً يضم ترانيمه الصوفية ومداحه النبوية هو ديوان « الإلهام »^(١) .

(١) السمو الروحى في الأدب الصوفى تأليف أحمد عبد المنعم عبد السلام الطوائى .

يقول الشيخ على عقل :

قتلت هوى نفسى ، فعشت بلا نفس
وجافيت أنسى ، فأنحدرت إلى الأنس
ولم أبداً أمرى للعباد ، فطالما
كتمت الذى القى عن الجن والإنس
وأدركت بالوجدان سر أحبتي
وعانيت آيات اليقين بلا لبس
وعشت زمانى لست أحفل بالورى
وكيف ، وقلبي هام فى مشهد القدس
وعلمت غيرى ما أفاد من الهدى
فلم يبق ذو فهم ليدى على طمس
إذا وسد الناس القبور ، فإننى
جعلت التقى والذكر بين الورى
ولم أخش من بأس ولم أخش طاغياً
ومن يخش ذات الله لم ير من بأس
وهل غير ذات الله للنفس مطلب
حرام سوى الرحمن يدخل فى نفسى
وتوجت بالقرآن نفسى عقيده
أصون به نفسى عن الزينج والسدس
وما اتخذت سوى الله غاية
فتسم الهدى للروح والقلب والحس

وإن شرب الناس الطُّلًّا وتصبَّبوا
 فسُنَّةُ خَلْقِ اللَّهِ فِي شَرِبِهَا كَأَسَى
 وإن رفع المَثْرُونُ عُجْبًا رءُوسهم
 رفعتُ بذكر الله فوق السُورَى رَأْسَى
 وإن جعلوا الشمس اهتداءً ليومهم
 جعلتُ رضا ربِّي وأَيْتَهُ شَمْسَى
 وإن غرسوا زرعًا لنَيْلِ حَصَادِهِ
 فتقوى إله العرش بين السُورَى غَرْسَى
 تعشَّقتُ نور الله وهو بصيرتسى
 وقد وضح البرهانُ من آية الكرسي
 ومذ شأهت رُوحى جلالِكَ وارتقتُ
 تجرَّدتُ عن معنَاى فى عالمِ الحسِّ
 أحبك يا ربى محبةً مُوقِنِ
 ومن قوَّةِ الإيمانِ أصبح أو أُمسى
 فوَادَى قد أبعدتُ عن مشهد السُورَى
 فطَهَّرَ فى نَجْوَائِكَ مِنْ ظَلَمَةِ السَّرْجَسِ
 أطوف على الأبوابِ قلبى مُوجِعُ
 وليس سوى رحماك للقلبِ من نَطَسِ
 وأعدمتنى فى الحبِّ علمى بقسْدَرِهِ
 فليس غرامى فيه يدرك عن قَيْسِ
 ولم أعشق الدنيا فتلك مجازة
 تهىءُ لآخرى وفى فوتها عَرْسَى

لِقَاؤُكَ يَا رَحْمَنُ عَيْدِي وَعُدَّتِي
وَنُورِكَ غَيْثِي وَهَوْلِي فِي الْوَرَى أَنْسِي
وَبَحْرُوكَ مِنْهُ قَدْ لَقِيتُ جَوَاهِرِي
بِشَاطِئِهِ سَفَنِي عَلَى لُجَّةِ غَطْسِي
وَطَيْبُ السَّوْرِى وَرُسُ وَمَسِكَ وَعَنْبَرُ
وَطَيْبِي مِنْ مَحْيَاكَ أَسْمَى مِنَ الْوَرَى
وَلَسْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، أَمِيلُ إِلَى الْعُلَا
فَإِنَّ عُلَا الدُّنْيَا لِأَصْحَابِهِ يُنْسَى
أُمْتَمِعْ أَعْضَائِي بِذِكْرِكَ دَائِمًا
وَهَلْ غَيْرُ ذِكْرِ اللَّهِ يَسْكُنُ فِي نَفْسِي
وَكُلُّ رَجَائِي أَنْ أَحْبَبَكَ صَادِقًا
إِذَا الصَّدَقُ فِي الْوُجْدَانِ مَرْتَبَةُ الْقُدُسِ
وَمَا فَضْلُهُ وَقِفْتُ عَلَى أَيْ عَالَمٍ
وَحَقِّكَ مَا حُدَّ الْعَطَاءُ عَلَى جَنَسِ
إِذَا رَضَى الرَّحْمَنُ عَنْ قَلْبِ عَبْدِهِ
جَرَتْ مَرْكَبُ الْأَقْدَارِ مَعَهُ عَلَى الْيَبْسِ
تَخَلَّ وَلَا تَحْفَلُ بِجَنِّ وَلَا إِنْسِ
وَعِشْ فِي هَوَى الرَّحْمَنِ تَسْعُدُ بِالْأَنْسِ
وَأَقْبَلْ عَلَى مَوْلَاكَ بِالْقَلْبِ مَخْلَصًا
وَأَسْلَمْ وَسَلِّمْ وَأَتَّجِهْ طَالِبُ الْقُدُسِ
وَحُذِّ لَكَ بِالْإِيمَانِ أَصْدَقُ وَجْهَةٌ
وَطَهَّرْ بِهَا نَفْسًا عَنِ الْغَى وَالرَّجَسِ

تجرد تجد مولاك أكبر ناصر
وفوض له ما كان في الغد والأمس
حياة السورى خلو ومرو وإنما
حلا المرء بالتوحيد من رقة الحس
ومن لا يرى إلا الإله مراده
حرام عليه الخوض في العرش والكرسى
ومن يتعشق نوره وجلاله
فليس له التشبيب بالبذر والشمس
وإنك لو عظممت دينك عالماً
وعاملت بالحسنى وأدبت للنفس
وكنيت على الأحداث بالله راضياً
سواءً عليك الموت أو ساعة العرسي
سعدت من الدنيا بربك محسناً
ونلت من الآخرة عطاء بلا بخس
يقولون لي من أنت ؟ قلت : موحّد
إلى ربه يسعى ولم يسر من بأس
إذا قيل لي اطلب قلت ربّي مطلبى
وإن قيل لي اشرب قلت أنواره كأسى
وكسل عهد قد تنكس أصلها
ولكن عهد الله باق بلا طمس
سلونى عن العشاق قد ذقت حبه
وإنى لهم رأس إذا كان من رأس

وما هم سوى أعضاء جسمي وبزتي
أصافحهم ما شئتُ لكن بلا لمس
وما حيلتي إلا انكساري في الحمى
وإن انكسار القلب يكشف عن قدسي
وحلوا الهوى عندي لقاء أحبتي
ومر الهوى عندي وفي هجرهم تعسى
وأعترف رحمانني وأدرك عفوهُ
وأنهض معترزا وما أنا بالنسي
وإن حبال الوجد تربط مهجتي
وقلبي بحب الله يعبق كالورس
وإن كنت في سعد فذلك فضله
وإن لم أكن من سادة العُربِ والفُرسِ
فقل للذي يُزجي الشراع دع الكرى
تجد سُفن الإحسان تجري على اليبس
وسر موقنا أن الإجابة للهوى
إذا ما دعا الداعي ولا تك في حدس
فكل السدى تراه والكون خلقه
وما نفع التفريق بالأنوع والجنس
حسبت الهوى سهلاً فخضت عبابه
فطوراً به أطفو ، وطوراً به غطسى
إلى أن أتتني من لدنه عناية
وصلت بها برّ السلامة والأنس

موسيقى من الله

للشاعر محمود حسن إسماعيل

« السَّدْرُبُ ضِئْوًا لِلشُّرَاةِ حَقِيقَةً ، وَحَصَادَ نَوْرٍ
وَهْدَى الدُّجَى ، وَتَمَزَّقَتْ حُجُبُ الرِّيَاءِ ، عَلَى الْحُضُورِ »

« محمود حسن إسماعيل أحد الأصوات الشعرية الكبرى في عصرنا الحديث ، ولد في قرية النخيلة بمحافظة أسيوط في الثاني من يوليو سنة ألف وتسعمائة وتسع وكانت وفاته - في الكويت - في الرابع والعشرين من أبريل سنة ألف وتسعمائة وسبع وسبعين ، عن رحلة شعرية طويلة وحافلة ، أصدر خلالها عددًا كبيرًا من الدواوين الشعرية تأكدت بها منزلته كشاعر أصيل له لغته الشعرية المتفردة وأسلوبه في التصوير والتعبير ، وتجاربه الوجدانية والكونية المميزة ، من بينها أغاني الكوخ - هكذا أغنى - أين المفر - نار وأصفاد - قاب قوسين - لا بد - صلاة ورفض - نهر الحقيقة - هدير البرزخ - صوت من الله » وهذه القصيدة من ديوانه موسيقى من السر الذي صدر في الذكرى الأولى لرحيله .

يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل :
وهناك عند الفجر في إشراقة كلظى الهجير
وعلى خطى قمرية الإيماض ،
يسفح نورها كذب الصخور
روض رحيب ، أجهشت فيه الزهور
وتكلمت بعطوره لغة الطيور
وتأوت ريح مجنحة المسير ، على مخاصره تدور
وترنمت ورقاء صالية الشعور
معشوقتي وعشيقته النغم المصفد في الوكوز
وذبيحتي ، وأنا الذبيح ، وجازر الرؤيا أسير
مُتلفح تحت العروق ، بمهده الثمل الوثير
في كفه نهر الحياة ، لهيبه قلق مرير
وعلى شواطئه هتاف لج في ندم غرير
وضراعة بلهاء تصرخ وهي هالعة النفير
وخطيئة تلد الحياة ، ومهدا يلد الدثور
وصدئ يغرد نائحا ، وبدمه يلغو السرور
وغمامة عرجاء دوخها المسير
أنا تسير وأنا تبكي المصير
والأفق مصلوب كسير
شحنته أوهام العصور
ومسايح النساك وهي على مزالقها تدور
الكف مؤمنة ، وظل الكف مشنقة الضمير

وتمائمُ المتبتلين كأنها حرجُ الغواية في الصدور
مسكينة الأصداء تَلْعُقُ في المداهنِ والبخورِ
وتتَنُّ في حباتها الدعواتُ ،
جائعة الهدى لزجاج كوبٍ أو حصيرٍ
متلَمَّظاتٍ للورودِ ،
على هوادجٍ أخجلتُ خشبَ النُّذورِ
يتلقَّفُ الأزواءُ ، من عبق تناسيمٍ بالشُّرورِ
والنورِ ، من حَلَك تناعمٍ في الجذورِ
والطُّهرِ ، من شطحاتٍ أوهامٍ وزورِ
وتعانقُ القدسَ المنيعَ ، كأنما سكن السُّتورِ
بفهيقي راغية محبرة على زبد الثغورِ
ونقيقي غاوية مبعثرة على خبلٍ حسيرِ
متخالج اللّمحات .. أعمى دُسنٌ في ألقٍ ضريعِ
طحنتهُ سُنبلهُ السيادة بالقشورِ
والرزقِ ، والعوزِ المخدر بالسكينة والحبورِ
ولواه جلابُ المطايا للغرورِ
ومضفر الأصلابِ أعتابا مطهمة الظهورِ
أقواسُها تتدُّ السهامَ ، وتُنشِبُ العشبَ الحقيقِ
وتحيلُ هشَّ الوارفينَ ، مشاتلاً لرُبى القصورِ
وعلى خضوع الهائمين يكفُّها تعلُّ الجسورِ
وتدورُ تطحنُ في غيابتها ، فتطحنُ أو تدورُ !
سبحان وهاب الظلام لمن يريدُ بصيص نورِ

سحبوا من الأكفانِ قُدرتَه ، ولجّوا في الشبور
وتأوّدوا خبيبًا ، وتهتهه ، وليًا للصدور
في حومة لا للسماء ، ولا التراب
لدقّها نسبٌ يُشير
زعموا لقاء الله وحدهم ، وجلّ
فنوّره غمر الدهور

في الحب ، في الأمل المحلّق ، في الأجنّة ، في البذور
في الريح ، في النسيم المرنح ، في العشايا والبكور
في الطيف ، تلمحه ظلالٌ ظلاله فوق الغدير
في السّفح ، في ضجر المغاور ، في البرازخ ، في البحور
في كلّ راقىء دمعٍ من جفن مظلوم فقير
في كلّ كاسر حلقة ، من قيد مهجورٍ أسير
في كلّ رافض لُقمة ، لليل ، جالبها أسير
في كلّ واهب روحه غوث التراب المستجير
في كلّ ذاتٍ حركتْ عدم الفراغ إلى الصّريز
في خُطوة القدم الذي هتك البراقع عن دجى
القمر المنير

وحدا السّديم ، وشق بين يديه أسرار الأثير
ومشى على الأجيال ، يسحقُ جهلَ عالمها الضّير
ويزيحُ ستر الغفل عن إعجاز خالقه القدير
الدّرْبُ ضوًّا للسّراة
حقيقة ، وحصاد نُور

وهوى الدُّجى ،
وتمزقت حجبُ الرياء على الحضور
فإنَّه يصحبُ كُلُّ من صحبَ النهارَ ...
ومال عن غيشِ الستور

على باب الرجاء

شعر: طاهر أبو فاشا

« في طليعة الأصوات الشعرية المعاصرة ، ذاعت له شهرة من خلال كتابته الطويلة للبرنامج الإذاعي الشهير « ألف ليلة وليلة » والأوبريت الإذاعي « رابعة العدوية » التي سكب فيها عصارة شعره في الحب الإلهي الذي ضمّنه ديوانه « راهب الليل » .

وقد أصدر الشاعر ، قبل وفاته ، مصنفه « ألف يوم ويوم » بعد أن أصدر دراسته الأدبية « الذين أدركتهم حرفة الأدب » عن الشعراء والأدباء الذين شقوا بحظوظهم في الحياة ، ، بالإضافة إلى ديوانيه الآخرين : « الليالي » و « دموع لا تجف » .

يقول طاهر أبو فاشا :

غريبٌ على باب الرجاء طريحُ
يناديك موصول الجوى وينوحُ
يهون عذابُ الجسم والروح سالم
فكيف وروح المستهام جروحُ
وليس الذى يشكو الصبابة عاشقًا
وما كُئِلُ بأك في الغرام قريحُ
يقولون لي غنى^(١) وبالقلب لوعةُ
أغنى بها في خلوتي وأنسوحُ
ولي في طريق الشوق والليل هائمُ
معالم تخفى تارة وتلوحُ
ولي في مقام الوجد حالٌ ولوعةُ
ودمع أدارى في الهوى ويبسوحُ
وأنت وجودى في شهودى وغيبتى
وسرك نور النور أو هو روحُ
وما دخلت إلا إليك مواجدى
وداعى الهوى بالوالهين يصيحُ
بسرّ الهوى يغدو وفيه يروحُ
غريبٌ على باب الرجاء طريحُ

* * *

(١) الحديث على لسان رابعة العدوية في الأوبريت الإذاعية التى تحمل اسمها .

حانةُ الأقدار عرِبت فيها ليلاليها ودار النور
والهوى صاحي
هذه الأزهار كيف تسقيها وساقِيها بها مخمور
كيف يا صاح

سألتُ عن الحبِّ أهلَ الهوى
سُقاةَ الدُموعِ ندامَى الجوى
فقالوا حنانك من شجنوه
ومن جَدّه بك أو لهوه
ومن كَدّر الليل أو صفوه
سلى الطيرَ إن شئتَ عن شذوه
ففى شذوه همساتُ الهوى
وبـرح الحنينِ وشرُح الجوى

ورحنتُ إلى الطيرِ ، اشكو الجوى
واسألهُ سرَّ ذاك الجوى
فقال حنانك من جُمره
ومن صحنو ساقِيه أو سُكره
ومن نهيه فيك أو أمره
سلى الليلَ إن شئتَ عن سره
ففى الليلِ يبعثُ أهلُ الهوى

ولما طسوانسى السُّجسى والجوى
 لقيستُ الهوى وعرفتُ الهوى
 ففى حانسة الليل خماره
 وتحت خيام السُّجسى ناره
 وفى كسل شسىء يلسوخ الهوى
 ولكن لمن ذاق طعمهم الهوى

يا صاحبة الراح : أهل الراح هل حانوا
 وهمل تغنيتُ على الحانها الحان
 صبا الندامى وما فى الحان الحان
 فى كأس عمري بقايا ، من يُشاربنى
 ومن يطارحنى والعيش رِيحان
 ثمالة من دمسوخ الشجوى ألوان
 إبريقها راح يبكى وهو فريحان
 ثمالة ، أه لسو فاضيت ، وآه إذا
 غاضيت ، وواها لها ، والقلب لهفان
 عهدى بها وكؤوس الصفو مترعة
 بهن طاف على السكسرى سكران
 لا يشرب السراح ، إلا أنه تمسيل
 نشوان والكأس فى كفيه نشوان
 ترى تعود الليالى والهوى معنا

يا غُرْبَةَ الكَأْسِ ، ما للكأسِ نُدْمَانُ

* * *

عرفتُ الهوى ، منذُ عرفتُ هواكا
وأغلقْتُ قلبيَ عمَّنْ سواكا
وقمتُ أناجيكَ ، يا مَنْ ترى
خفايا القلوبِ ولَسْنَا نراكا
(أحبك حُبَّين : حُبُّ الهوى
وحُبًّا لأنك أهلٌ لذاكا)^(١)
(فأما الذى هو حُبُّ الهوى
فشغلى بذكرك عمَّنْ سواكا)
(وأما الذى أنتَ أهلٌ له
فكشفكَ لى الحُجُبِ حتَّى أراكا)
(فلا الحمْدُ فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمْدُ فى ذا وذاكا)
وأشتاقُ شوقين : شوقَ النُّوى
وشوقًا لقربِ الخُطى من حماكا
فأما الذى هو شوقُ النُّوى
فَمَسرى الدموعِ لطولِ نواكا
وأما اشتياقى بقربِ الحمى
فَنارُ حياةٍ خَبْتُ فى ضياكا

(١) الأبيات الأربعة التى بين الأقواس من شعر رابعة العدوية .

ولستُ على الشُّجُو أشكو الهوى
رضيتُ بما شئتُ لي في هواكَا

* * *

لغيرك ما مددتُ يدا	وغيرُك لا يفيضُ ندى
وليس يضيقُ بابُك بى	فكيف تردُّ من قصدا
وركنُك لم يزل صمدا	فكيف تذودُّ من وردا
ولطفُك يا خفى اللطف	إن عادى الزمان عدا

* * *

على قلبى وضعتُ يدا	ونحوك قد مددتُ يدا
سرى ليلى بغير هدى	ولا أدرى لأى مدى
يطاردنى الأسى أبدا	ويرعانى الجوى أبدا
وينشرنى الهوى روحا	ويطوينى الهوى جسدا
وأطوى البید طاويدة	كأنى فى الفضاء صدی
نهارى والهجير لظى	وليلى والظلام ردى
فواكبدا إذا أضحى	وإن أمسى فواكبدا
وليس سواك لي سند	فقدتُ الأهل والسندا

* * *

على عینى بكتُ عینى	على روحى جنتُ روحى
هواك وبُعْد ما بینى	وبینک سرُّ تبریحى
صحا من شجوه كأسى	وقد نامَ الخلیونا

فكيف أفرُّ من نفسي	إذا هام المحبونا
حيائي منك يبعدني	وداعى الشوق يُدنيني
ووجه الصفيح يُخجلني	ويقتلني ويُحييني
خلوت إليك ياربى	وقلت عساك تقبلنى

مددت يدي
إليك ومنك يا ربَّاه
ومن طول النوى أواه



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

الفهرس

٧	 هذا الكتاب
١١	 الرحلة في بحار العشق
٧٣	 تعاظمنى ذنبى [للإمام الشافعى]
٧٧	 هوانا حجازى [لأبى حمزة الخراسانى]
٨٢	 غريب الدار [للبرعى]
٩١	 نار ليل [للشهرزورى]
٩٥	 ته دلالاً [لابن الفارض]
١٠٣	 مريضة الأجفان [لابن عربى]
١٠٩	 ربة السّتر [للإمام الصرصرى]
١١٥	 وارحمنا للعاشقين [للسهروردى]
١٢١	 إلهى يا سميع [لأحمد البدوى]
١٢٧	 سقانى محبوبى [لإبراهيم الدسوقى]
١٣١	 فطرة النفس [لأبى العباس المرسى]
١٣٧	 ظهرت لكل الكون [لابن عطاء الله السكندرى]
١٤٣	 سُكر المحبة [لابن أرقم النميرى الأندلسى]
١٤٧	 الملجأ الأحمى [لابن الجيّاب الأندلسى]
١٥٣	 سلمى [لليافعى]
١٩٥	

١٥٩	 [لمصطفى البكرى] المنهجية
١٦٧	 [لأحمد الحلواني] مالى سواك
١٧٣	 [للشيخ على عقل] تعشقت نور الله
١٨١	 [للشاعر محمود حسن إسماعيل] موسيقى من الله
١٨٧	 [شعر : طاهر أبو فاشا] على باب الرجاء

رقم الإيداع : ٢٣٩٨ / ١٩٩١
الترقيم الدولى : ٦ - ٥١ - ٠٩ - ١٧٧



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
المنظمة العامة لمكتبة الإسكندرية

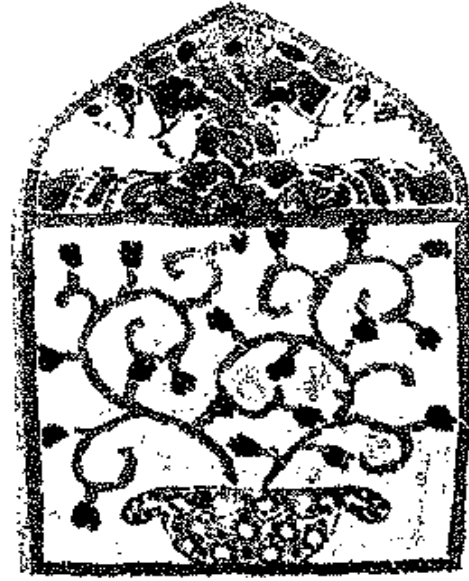
مطابع الشروقة.....

القاهرة : ٩٦ شارع جواد حسن - هاتف : ٣٣٤٤٨١٤ - ٣٣٤٤٥٧٨
بغروت : ص ب : ٨١٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٧١٣

والخشية والتوبة ، وتعمر القلوب
بوشائج المحبة الدائمة ، ومقامات
العشق وأحواله ، وينسكب هذا كله
في النهاية شعراً يفيض بالصدق
ويعمر باليقين والمحبة والإيمان .

والأمل معقود أن تلقى هذه
المختارات من شعر الحب الإلهي ما
لقيته سابقتها لدى القراء من ذبوع
وانتشار ، وأن يستجيب شعراؤنا
ودارسونا للدعوة التي حملتها
المختارات السابقة : أن يسهموا
ويشاركوا في هذا الميدان ، كل على
حسب طاقته واستطاعته
واهتماماته ، فتعدد مجالات الاختيار،
من خلال أذواق عدة ، من شأنه أن
يؤدي في النهاية إلى تكوّن الذوق
الصحيح المدرب الذي يجيد الانتقاء
والرؤية النافذة ، وينجح في تقديم
قراءة عصرية جديدة لكل ما يحمله
التراث من كنوز ، بعد أن ينفض عنها
غبار الإهمال والنسيان ، ويعيد إليها
ماء الجدة والحياة .

فإذا ما نجحت هذه المختارات في
تقريب المسافة بين القارئ المعاصر
وتراث أمته الشعري — قديمه
وحديثه — وفتحت باباً ولو يسيراً
لتذوق عصرى ، ترفده حساسية
جديدة ، ووعي جديد، فإنها تكون قد
شارفت الغاية، وأشارت إلى الطريق .



الحب الإلهي

إذا كانت الحلقة الأولى في هذه
السلسلة قد توقفت عند تجربة الحب
في الشعر العربي ، وحملت عنوان
«أحلى عشرين قصيدة حب» في هذا
الشعر، فإن هذه الحلقة الثانية تتقدم
إلى ساحة أسمر من ساحات هذا
الحب هي ساحة الحب الإلهي ، حيث
فاضت وجدانات العشاق الكبار من
الشعراء بأنغام وترانيم وألحان
تطهروا بها ، وحلقوا من خلالها ،
دُنُوا واستشرفوا من الأفق الأعلى
والأسمى ، حيث يتابع الروحانية،
والفيض الغامر ، وحيث تمتلئ
النفوس بأقباس من النورانية
وتفيض العيون بدموع الندم

© دار الشروق —

الطبعة ١٩ شارع حسان - هاتف ٢٢٢٤٧٨ - ٢٢٢٤٨١
توزيعات من ٢٠١٤ - هاتف ٢٢٤٨٥٩ - ٢٢٤٨٦٠ - ٨١٧٢١٣

To: www.al-mostafa.com